دار التوحيد لتحفيظ القرآن الكريم بجدة
ت: ٢٦١٩٥٦٤ - ٠٥٤٠٧٠٢٠٠١

علامات التوفيق
ووقفات تربوية مع
سورة سبأ

سُورَةُ سبإٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا

برنامج التدبر
الملزمة السابعة

جمع وإعداد:
نجلاء السبيّل

الفهرس

مقدمة ..... أ

علامات التوفيق

ما هو التوفيق وما هو الخُذلان ٢

العلامة الأولى: أن يوفق الله العبد للأعمال الصالحة ٣

العلامة الثانية: أن يجدَ الإنسان لذةً للأعمال الصالحة ٤

العلامة الثالثة: أن يوفقه الله لطلب العلم الشرعي ٥

العلامة الرابعة: أن يوفق الله الإنسان لحب القرآن وتعلُّمه وتعليمه ٦

العلامة الخامسة: أن يرزقه الله القناعة ٧

العلامة السادسة: أن يمنّ الله على العبد بالرضا ٨

العلامة السابعة: أن يمنحه الله مكارم الأخلاق وسلامة الصدر ٩

العلامة الثامنة: أن يمن الله عليه فيجعله ملجئاً لعباد الله ١٠

العلامة التاسعة: أن يوفقه الله لترك ما لا يعنيه ١١

العلامة العاشرة: أن يوفقه الله للتوبة ١١

سورة سبأ

بين يدي السورة ١٢

مقصود سورة سبأ ١٢

علاقة الشكر والجحود بالتوفيق والخذلان ١٢

مبحث في الشكر

المحور الأول: منزلة الشكر في الشرع ١٣

المحور الثاني: ماذا نحتاج حتى نصل إلى الشكر؟ ١٣

أولاً: التوفيق ١٤

ثانياً: تذكُّر النعم ١٦

المحور الثالث: معنى اسم الله "الشكور" ١٩

أخيراً: الشكر يحتاج إلى ضراعة ٢٠

داود عليه السلام

المحور الأول: من هو داود عليه السلام؟ ٢٣
المحور الثاني: النِعم التي أنعم الله بها على داود عليه السلام ٢٥
قصة داود والخصم إذ تسوّروا المحراب ٢٦
وقفة مع الإنابة ٢٧
قصة قضاء داود عليه السلام في الغنم التي نفشت في حرث القوم ٢٨
وفاة داود عليه السلام ٢٩

سليمان عليه السلام

فضائله ٣١
قصة الخيل التي تركها سليمان ٣٢
وقفة مع اسم الله "الوهّاب" ٣٥

قصة قوم سبأ

بماذا وصف الله بلادهم؟ ٤٠
موقف قوم سبأ من هذه النِعم ٤١

من مشاهد القيامة

وقفة في رحاب اليوم الآخر ٤٧
صفة الحشر ٤٨
زمان الحشر ٤٩
الفهرس ٥٤
المراجع والمصادر ٥٦

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- موسوعة التفسير الموضوعي
- زاد المسير ... ابن الجوزي
- صيد الخاطر ... ابن الجوزي
- المصباح المنير ... المباركفوري
- تيسير المنان في قصص القرآن ... أحمد فريد
- قصص القرآن ... حامد بسيوني
- استنشاق نسيم الأُنس ... ابن رجب
- صحيح الترغيب والترهيب الألباني
- موسوعة نضرة النعيم
- الفوائد ... ابن القيم
- مدارج السالكين ... ابن القيم
- البداية والنهاية ... ابن كثير
- صلاح الأمة في علوّ الهمة ... الدكتور سيد عفاني
- نزهة الخاطر العاطر ... ابن رجب
- نقلاً من إحدى الدروس العلمية في شرح أسماء الله الحسنى للدكتور محمد الدبيسي في شرحه لاسم الله الوهاب
- دروس علمية متفرقة

علامات التوفيق

مُقدِّمة

لا يخفى على عاقلٍ أننا جميعاً إلى الله سائرون وليس في الطريقِ واقفٌ البتة، ونحن في هذا السير نتقلب بين توفيق الله وخذلانه مِنّا الموفق ومِنّا المخذول.

فما هو التوفيق وما هو الخُذلان؟

التوفيق : أن يحوطك الله بعنايته ويمدك بمدده فتصيب السداد في غالب أمرك ، وتُرزق المعونة، وما شقَّ على غيرك يسهُل عليك وما اختلط على غيرك تُبصره أنت لأنك موفقٌ بتوفيق الله لك.

الخذلان : أن يتخلى الله عنك فيكِلك إلى نفسك فتضيّعها وتضيع، يعرى قلبك من البصيرة، والقلب إذا عري من البصيرة تخبّطَ وأصبح قلباً حائراً متردداً وكأنه في أمرٍ مريج، لا يعرف صاحبه ما يأتي وما يذر، أيشرِّق أم يغرِّب، بمعنى أن الله يتركه من دون تسديد، بل إن الله إذا خذل العبد أشغله فيما فيه عطبُه وهلاكه فيكون عبداً مصروفاً لعداوة نفسه يسعى فيما فيه شقاؤه وهلاكه وتعاسته والعياذ بالله.

وقد ذكر أهل العلم **علاماتٍ للتوفيق**. والهدف من ذكرها أن يزن كلٌ منا نفسه لا سيّما ونحن الآن في زمنٍ مهلة تمرّ فيه الأيام مسرعة بعضها خلف بعض، يومٌ يُسلِّمك للآخر ويومٌ يسُلِّ مك للآخر وهكذا.... الأيام تطُوى، والأعوام تتابع، والمُهلة تتناقص، ونحن في هذا السير نحتاج إلى علامات وإشارات نعرف بها صحة سيرنا وهل نحن موفقون مسددون أم نحن مخذول ون والعياذ بالله فنتدارك أنفسنا قبل أن تنتهي المُهلة وقبل أن نصل إلى قبورنا.

واستمع لنصيحة ابن الجوزي رحِمه الله وهو يقول : "الله الله في مواسم العمل، والبِدار البِدار قبل الفوات، استشهدوا العلم، ونافسوا الزمان[١]، وناقشوا النفوس[٢]، واستظهِروا الزاد[٣]، فكأن قد حدا الحادي[٤] فلم يُفهم صوته من وقْعِ الندم".[٥]

العلامة الأولى: أن يوفق اللّه العبد للأعمال الصالحة على اختلاف أنواعها قولية/ مالية/ بدنية.

بمعنى أن يجد الإنسان نفسه مُيسّراً للطاعات، مُنشرحُ الصدر لها مُقبلٌ عليها لا ضيقَ عند ه ولا كُره ولا حرج ولا ثِقل، فهذه من أول بشائر التوفيق

- أن يجد الإنسان أن القرآن قد خُففِّ عليه
- وأن التسبيحَ والتحميدَ والتهليلَ والتكبيرَ يجري على لسانه جرياناً
- وأن الصلاة بنوافلها ووِترها وقيامها تسهُل عليه، يحُبها، يألفهُا، يكْثر منها.
- وأن الصدقات والنفقات والزكوات يُخرجها ونفسه طيبة بها بل ويتمنى أن يزيدَ منها فيزيد الله من فضله.
- وأن الحج بكل ما فيه من مشقة وتعب وكثرة تنقلُّات وقلة نوم وجلوس بالساعات في الباصات، فهو مُحببٌ إلى نفسه، قد تعلّق به قلبه فكلما ذكره حنّ إليه، وكل ما يتمناه أن يكون مع الحجاج في كل عام دون أن يفكر في المشقة أصلاً.

فإذا رأى الإنسان نفسه أن الله قد شرح صدره للعبادة وهيأه لها ووفَّقه لاغتنام عُمرِهِ ووقته بالطاعات والصالحات بهذه الصورة فليبُشِر.

فهذا هو قوله ﷺ: "**إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله . فقيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال: يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت**".[٦] وفي رواية قال: "**يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عليه من حوله**".[٧] وكل هذا من التوفيق.

---

[١] نافسوا الزمان: أي سابقوه بالطاعات قبل أن ينقضي
[٢] ناقشوا النفوس: حاسبوها
[٣] استظهروا الزاد: تقوّوا به واتخذوه ظهيراً لكم
[٤] الحادي: نادى منادي الموت بالرحيل عن الدنيا
[٥] صيد الخاطر ١٤٤
[٦] رواه الترمذي
[٧] صحيح الجامع (٣٠٤)

ومن المعلوم بأن الإيمان يزيد وينقص وأن النفس بين إقبالٍ وإدبار، والنبي ﷺ يقول : "**إن لكل عملٍ شِرّة ولكل شِرّة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك**".[1]

شِرّه: القوة والنشاط والإنطلاق والحماس في العبادة. مأخوذة من زيادة التوهج والاشتعال مثل الشرر المتطاير من الجمر عند النفخ فيه. فأحياناً تنطلق بك نفسك في الأعمال الص الحة وتعدو بك كما تعدو الخيل فهذه هي الشِرَّه، وأحياناً تتعتع فيك وتتثاقل بك وتتباطأ بك وهذا هو الفتور، لكن الموفقّ بتوفيق الله له الغالب على حاله القوة والنشاط وإن فتر ففتوره خفيف لا يطول.

ومن هنا تفهم لماذا كان أصدق الأسماء حارث وهمّام. فحارث: من الحرث من الدَأَبْ، إنسان دؤوب، يعمل يتحرك مستمر لا ينفك عن الحركة وعن السعي . وهمّام : هو الذي تتجدد عنده الهمة كل يوم وعنده همة، ليس راكداً ولا خاملاً ولا غافلاً ولا كسولاً . وهذه طبيعة المؤمن أنه صاحب همة وأنه دائماً يتحرك ويسعى ويواصل السير، ويجمع عمل الليل والنهار يريد الأعلى والأكمل والأحسن ويعلم {أن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنة}.

وأما المخذول فهو ذاك المحبوس. والمحبوس من حبسه الله عن طاعته، وقد قال ﷺ: "**لا يزال أقوامٌ يتأخرون حتى يؤخرهم الله** ".[2] فإن وجدت في نفسك حبساً فاطلب الإعانة من الله يعِنك، ومتى أقبلتَ عليه أقبل على إصلاح شأنك وحالك.

العلامة الثانية: أن يجدَ الإنسان لذةً للأعمال الصالحة

يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾ فهم في نعيم في الدنيا ونعيم في البرزخ ونعيم في الآخرة. فنعيم الدنيا هو ما يجدونه من لذة الطاعة ولذة الأُنس والقرب من الله عز وجل ، ونعيم البرزخ هو ما يردُ عليهم في قبورهم من الخير والرحمة . وأما نعيم الآخرة فهو ما أخبر جلّ وعلا عنه في الحديث القدسي مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر.

والله عز وجل إذا أراد بعبدِه خيراً أذاقه هذه اللذة ولم يحرمه منها.

---

[1] صحيح الجامع (٢١٥٢)
[2] صحيح ابن خزيمة (١٤٧٨)

وعن مسلم بن يسار قال: "ما تلذّذ المتلذِّذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل".[1]

وعن إبراهيم بن أدهم أنه قال: "أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك وتستأنِس إليه بقلبك وعقلك وجوارك حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخافَ إلا ذنبك وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر شيئاً عليه، فإذا كنت كذلك لم تُبالِ في برٍ كنتَ أو في بحرٍ أو في سهلٍ أو في جبل وكان شوقكَ بلقاء الحبيبِ كشوق الظمآن إلى الماء البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكُن ذِكر الله عز وجل عندك أحلى من العسل ".[2]

العلامة الثالثة: أن يوفقه الله لطلب العلم الشرعي

يحظى طالب العلم الذي سلك هذا الطريق على مراتب من العبودية:

المرتبة الأولى وهي أعظمها: أنه يكون وارثاً لنبينا عليه الصلاة والسلام "**العلماء ورثة الأنبياء**" وهم يوم القيامة أرفع من غيرهم. قال تعالى ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه "العلماء فوق المؤمنين يوم القيامة مائة درجة وما بين الدرجتين مائة عام".[3]

ثانياً: بطلبه للعلم قد أتى بسبب من أسباب مضاعفة الحسنات. ومن المعلوم أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعف إلى أضعافٍ كثيرة . وطلب العلم لِما يترتب عليه من الخير والنفع المتعدي للغير. وبذلك فإن طالب العلم ينفع نفسه وغيره، ويأخذ أجره وأجر كل من استفاد من علمه وانتفع به فأصبح عنده مضاعفة في الأجور.

ثالثاً: أن العلم من أعظم الحسنات الماحية. فالعلم تعلُّمه حسنة وتعليمه حسنة والله يقول ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ فطالب العلم بخروجه وتعلّمه وتعليمه هو من أكثر من يتعرض لمحو السيئات، وهذه غنيمة كبيرة حريٌّ أن يُحرص عليها. ولك أن تتأمل بمن يستغفر له؟؟ عددٌ لا حصر له من المخلوقات لقوله ﷺ "**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليُصلون على مُعلم الخير**".[4]

---

[1] استشاق نسيم الأنس لابن رجب
[2] المصدر السابق
[3] ذكره ابن جماعة وغيره
[4] صحيح الترغيب والترهيب (١٩/١)

رابعاً: أن طريق الجنة لِطالب العلم أسهل من غيره.

قال ﷺ: "**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**".[1]

قال ابن رجب: سلوك الطريق لالتماس العلم يُحتمل به السلوك الحسي مثل الخطوات والمشي وحضور العلم وحلقات العلم، وقد يُحتمل به السلوك المعنوي مثل الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم من حفظه ومدارسته وتكراره وكتابته والتفهم له . فأصبح طريق طالب العلم للجنة أسهل من غيره.

وقد سُئِل الإمام مالك عن رجلٍ سيُنفذ فيه حكم القصاص، فما أفضل عمل يعمله؟ فقال: يطلب العلم. ومثلُه ذلك الرجل الكبير في السن الذي أتى إلى عالمٍ يسترشدْ فقال له: أُطلب العلم. فقال: وأنا في هذه السن؟ فقال له العالم: أُطلب العلم ولو لم يبق في عمرك إلا ليلة واحدة.[2] وما هذا إلا لكثرة مكاسب العلم وغنائمه وأجوره وهو من أعظم بشائر التوفيق.

العلامة الرابعة: أن يوفق اللّه الإنسان لحب القرآن وتعلمُّه وتعليمه

قال رسول الله ﷺ: "**خيركم من تعلم القرآن وعلمّه** " وهذه خيرية خاصة يخص الله بها من يشاء من عباده ويدخل في هذه الخيرية من تعلَم القرآن ومن علّم القرآن ومن علمّ عِلماً يعين على فهم القرآن.

واستمع لهذه الكلمات التي قالها مُفتي المملكة سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله في إحدى دروسه العلمية على شبكة طريق السلف، قال :(من تعلم القرآن فقد أوتي خيراً كثيراً، ومن علمّه غيره فقد أوتي خيراً كثيراً، ومن أعان على تعليم القرآن ووقف مع أهل القرآن ومدارس القرآن وحلقات القرآن فهو داخلٌ في هذا الخير العظيم "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**").

فإذا لاحت لك سُبل الخير فاسلكها أي إذا تحركت نفسك للقرآن وللحفظ فلا تتأخر ولا تتردد فإن من أقبل أقبل الله عليه وزاده توفيقاً وهمةً وبركة، ومن أعرض زاده الله إعراضاً. وأهل

---

[1] رواه أحمد وأبي داوود (والترمذي برقم ٢٦٤٦)
[2] نقلاً من إحدى الدروس العلمية.

العلم يقولون إذا تحركت الهِمم جاء الله بالفتح فالعِلم يحتاج إلى همّة والمرء يعطى على قدر همته.

العلامة الخامسة: أن يرزقه اللّه القناعة

وردَت في صحيح مُسلم قصة سماها الشُّراح بقصة (جرة الذهب) ملخصها أن رجلاً اشترى عقاراً من رجلٍ فوجد المشتري في العقار جرةً مليئةً بالذهب فأخذها وذهب للبائع فقال له : إشتريت منك الأرض ولم أشترِ ما فيها. رفض البائع أخْذ الجرة وقال: وأنا بعتك الأرض بما فيها، فاختصما هذا يرفض أن يأخذ الجرة والآخر أيضاً يرفض أخذها فاحتكما إلى رجل بينهما فقال: ألكما ولد؟ فقال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية، فقال: أنكِحا الغلام والجارية وليُنفِقا على أنفسهما.[1]

هذه القصة تعلِّمك أيها القارئ الكريم أن القناعة توفيقٌ من الله، وأن القناعة تعود بالبركة على أصحابها. وتأمل كيف كانت البداية مجرد بيعة يفترق بعدها البيّعان وينتهي الأمر عند هذا الحد ولكن لأن كلاً من البائع والمشتري أمين وعفيف فقد تمت البيعة وقد التأم الشمل فإذا البيتان بيتٌ واحد، وإذ الأسرتان أسرةٌ واحدة.[2]

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "**قد افلَح من أسلم ورُزِق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه**".[3]

فاقنع بما عندك، وارض بما قسم الله لك واعلم أن الأمر كما قال الله عز وجل في كتابه ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾. فالأرزاق مكتوبة والله اعلم بعباده يعطي هذا ويمنع هذا، يرفع هذا ويخفض هذا، يوسع على هذا ويُضيق على الآخر، الله اعلم بخلقه ولا يُسأل عما يفعل سبحانه وبحمده وهو العليم الحكيم.

ثم تيقّن أن ما كان لك سيأتيك على ضعفك وما لم يكُن لك لن يأتيك على قوتك. يقول عليه الصلاة والسلام: "**لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهربُ من الموت لأدركهُ رزقه كما يدركه الموت**".[4] فاقنع ولا تمُد بصرك ولا تتشوف لِما في أيدي الناس وتسأل منهم، فإن الشريعة قد

---

[1] رواه مسلم- كتاب الأقضية رقم الحديث (١٧٢١)
[2] موقع صيد الفوائد- دكتور عبد الرحمن فودة
[3] رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب باب الزكاة باب الكفاف والقناعة
[4] السلسلة الصحيحة (٩٥٢)

حذرت من سؤال الناس. والنبي ﷺ يقول: "**من سأل الناس تكثُّراً فإنما سأل جمراً فليستقِل أو ليستكثِر**".[1] وقال عليه الصلاة والسلام: "**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مُزعةُ لحم**".[2] يُحشر يوم القيامة ووجهه ليس فيه إلا عِظام تلوح فيُفضح أمام الخلائق بأنه كان كثير السؤال في الدنيا. وليعلم كل من فتح على نفسه (باب سؤال الناس) أنه قد فتح على نفسه باب فقر وأن حاجته لن تُقضى لأن الله سيكِله إلى الناس. قال عليه الصلاة والسلام: "**من أصابتهُ فاقةٌ فأنزلها بالناس لم تسُدّ فاقته ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزقٍ عاجلٍ أو آجل**".[3]

العلامة السادسة: أن يمنّ الله على العبد بالرضا

سواءً كان الرضا بشريعة الله (أوامره ونواهيه) أو الرضا بأقداره وأفعاله جل جلاله.

يقول الله عز وجل ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾.

الرضا مسألة بين العبد وبين ربه وليس مجرد كلمة عابرة تُقال إنما حقيقته يقينٌ يخالط القلب ويستقر فيه ويُباكنه. العبد الراضي في حقيقة أمرِه يعرفُ عمّن رضي، رضيَ عن ربٍ هو الخالق الذي خلق كل شيء، وهو المالك الذي بيده مُلك كل شيء ولا يستطيع كائناً من كان أن يخرج عن مُلكه ولا لطرفةِ عين، وهو العليم الذي يعلم بعواقب الأمور، وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه وهو اللطيف الذي يلطف بعباده ويُجري عليهم من الأقدار ما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، وهو الرحيم الذي تصل رحمته إليهم في أي وضع وتحت أي ظرف كانوا وما من مخلوقٍ إلا وهو يتقلب في رحمته آناء الليل والنهار، وهو الرب الذي يربي عباده فينقلهم من النقص إلى الكمال وهو الولي الذي يتولى أمر عباده وهو الحسيب الحفيظ الكافي الذي لا يُضيِّع عباده ولا يُسلمهم ولا يخذلهم.

فإذا امتلأت النفوس بهذه المعرفة رضي العبد عن ربه وذاق طعم الإيمان، وعاش في راحة إيمانية تجلب له السعادة طوال حياته وسرعان ما تتضاءل أحزانه وتصغر لأنه أصبح على يقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن قدرَ الله سيمضي سيمضي.

---

[1] رواه مسلم
[2] متفق عليه
[3] حسّنه الألباني في صحيح الجامع

ومن أُعطي الرضا فقد كُفي والله. تأمل قول النبي ﷺ وهو يقول : "**مثَلُ المؤمن كمثل الخامةِ من الزرع من حيثُ أتتها الريح كفأتها** ". شبهَّ المؤمن بالزرع الرطب اللين الخفيف الضعيف الذي تقلِّبه الريح يمنةً ويسرة. هذه الريح هي بلايا الدنيا ومصائبها وفجائعها ونكباتها، يتقلب فيها المؤمن صعوداً وهبوطاً، يتعرض للآلام في بدنه وأهله وماله. فإذا أُعطي التفويض والتوكل والرضا فإنه يمشي مع البلاء كيفما مشى به وكلما أداره استدار معه وكلما قلّبه يمُنةً ويسُرة انقلب معه. وكما قالت العرب قديماً إذا رأيت الأمر غالباً فاخضع له، أي تطامن له وهذا هو تمام الرضا.

اللهم رضّنا بقضائك وبارك لنا فيْ قدَرك حتىٰ لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجّلت، اللهم ما أعطيتنا مما نُحب فاجعله قوةً لنا فيما تُحب، وما زويتَ عنا مما نُحب فاجعله فراغاً لنا فيما تُحب

العلامة السابعة: أن يمنحه اللّه مكارم الأخلاق وسلامة الصدر

قال أحد السلف: إن هذه الأخلاق وهائب وأن الله إذا أحب عبده وهبه منها. فإذا وجد الإنسان من نفسه أن الله قد رزقه حسن الخلق فليعلم أن الله قد أراد به خيرا، فهو على خير وإلى خير بإذن الله.

لمّا سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخِل الناسَ الجنةِ قال : "**تقوى الله وحُسن الخُلق** ".[1] وليست المسألة دخول الجنة فقط بل إن من حسُنتْ أخلاقه نال مرتبةً ومنزلةً تشرأبُ لها الأعناق وهي منزلة القرب من رسول الله ﷺ "**إن من أحبكم إليّ و أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنِكم أخلاقاً**".[2]

ولا يخفى عليك أن حسن الخلق أثقل ما يكون في ميزان العبد و به يحصلّ العبد على درجة الصائم القائم وكل هذه مكاسب وغنائم وأجور تدل على أنه مُوفق بتوفيق الله له . وقد كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله من سوء الخلق في دعائه "**اللهم إني أعوذ بك من**

[1] أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)
[2] أخره أحمد والترمذي (٢٠١٨)

منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء". فسوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخلُ العسل ومن ساء خُلقه فقد عذّب نفسه

فكُن طيباً مُطيباً في ظاهرك وباطنك ولسانك وخُلقك وأنت ترجو بهذا الطيب أن تكون ممن يُقال لهم ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾، وأن تأتيك الملائكة في لحظة إدبار الدنيا وإقبال الآخرة فتكون من الذين تتوفاهم الملائكة طيبين. هذا الطيب يشمل طيب القلب وصفاؤه ونقائه وسلامته ويشمل طيب اللسان ونزاهته وعفته "وقولوا للناس حسناً"، ويشمل طيبُ الفعل من إحسان وتواضع واعذار ومُداراة ورحمة بهم "**والله يحب المحسنين**" وعلى قائمة هذا الطِيب في الأفعال أن يُرزق العبد الرفق، فمن حُرِم حظه من الرفق حُرِم حظه من الخير والله يُعطي على الرفق مالا يُعطي على العنف كما أن الله عز وجل يبغض كل جعظريّ جوَّاظ وهو الجاف الغليظ العسرِ الوعِر الذي يشكو وعُورةً في أخلاقه وغِلظةً وعُسراً في تعامله. فهذا من أبغض الناس إلى الله، وما هو إلا أثرٌ من آثار قلة التوفيق وخُذلان الله له والعياذ بالله.

العلامة الثامنة: أن يمن اللّه عليه فيجعله ملجئاً لعباد اللّه

يُجري الله الخير على يديه ويصبح مفتاحاً للخير مِغلاقاً للشر، يُفرِّج هماً، ويُ نفسِّ كرباً، ويقضي ديناً، ويعين ملهوفاً ويقف مع مظلوم وينصح حائراً ويُطعم جائعاً. يريد أن يدخل على الله من هذا الباب، باب "أحب العباد إلى الله أنفعهم للناس"، "وأحب الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مسلم". وهو عبدٌ مبارك أينما حلّ وحيثما نزل ينفع الله به. وقد أخبرَنا رسول الله ﷺ بأجره وثوابه: "**طوبى لمن جعل الله الخير على يديه وويلٌ لمن جعل مفتاح الشر على يديه** ". طوبى: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها. فإذا أجرى الله الخير على يديك فاعلم أن هذا هو نوع اصطفاءٍ واجتباءٍ من الله لك فلا تتململ من حوائج الناس وكثرة طلباتهم.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من جعل الله عز وجل حوائج الناس إليه فلم يقم بها أوشك الله عز وجل أن يرفعها منه إلى غيره".فبابٌ فتحه الله لك لا تُغلقه على نفسك.

العلامة التاسعة: أن يوفقه اللّه لترك ما لا يعنيه

فإذا وجد الإنسان من نفسه هذه الخصلة فليعلم انه موفق وأنه قد أصبح بها مؤهلاً أن يرزقه الله الحكمة وقد قال الله سبحانه وتعالى عن الحكمة ﴿**وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾.

والحكمة تدرأُ سفهَ النفس، تدرأ الخِفة والطيش والعجلة التي تصدر من الإنسان أحياناً . الحكمة تحل كثير من الإصطدامات والمواقف الشائكة التي تحصل في حياتنا.

أنت تفتقر للحكمة مع نفسك، ومع زوجك وأولادك ومع كل من تعاملهم أنت مُفتقرٌ لهذه الحكمة، ولن توفّق لها إلا إذا ضبطت لسانك. فرأس الحكمة الصمت وبابها اللسان، فإذا ضيّعت الباب دخل من لا تريد أن يدخل. واللسان عموماً يحتاج إلى احتياط ويحتاج إلى حراسة فهو بابٌ وعِر، وبابٌ مخوف، قلّ من ينجو منه ويسلم منه. وقد صدق أحد السلف حين قال (ما حجٌ ولا رباطٌ ولا جهادٌ أشد من حبس اللسان).

العلامة العاشرة: أن يوفقه اللّه للتوبة

التوبة هي فتحٌ وتوفيقٌ من الله، هي ندمٌ وحياءٌ من الله، هي اعتصارُ قلب كلما تذكر ذنبه احترق بداخله، وكلما كان صادقاً في هذا الندم وفي هذا الاحتراق كانت التوبة أكثر صدقاً وأكثر تكفيراً وتطهيراً لخطاياه.

كلنا محتاجٌ لهذه التوبة فالذنب يتردد فينا كالنفــَسْ، ومداخل الذنوب لا حصر لها، والمؤمن خُلق مفتناً تواباً ومن تاب تاب الله عليه. والله عز وجل إذا هدى عبده للإستغفار فقد أراد أن يغفر له.

غفر اللّه لي ولكم وعاملنا بعفوه وحِلمه وكرمه ورحمته

يا رب إنّا بشرٌ يعرِضُ لنا من الفتن ما يحيدُ بنا عن طريقك فإن حُدنا عنك فرُدنا إليك رداً جميلاً حميداً يا أرحم الراحمين

لسورة لسبأ

بين يدي السورة

- سورة مكية، نزلت بمكة قبل الهجرة.
- سميت بسورة سبأ لورود قصة سبأ فيها.
- هي إحدى خمس سور في القرآن افتتُحِت بالحمد (الفاتحة، الأنعام، الكهف، فاطر، سبأ)
- هذه السور مثل بقية السور المكية تعالج موضوعات العقيدة الرئيسية من الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر وقضية البعث، والنبوة، والإخبار عن الغيبيات. فهذا هو الإطار العام المشترك للقرآن المكي، ويبقى أن لكل سورة شخصيتها ومعالمها ومقصودها وأسلوبها الخاص الذي تميزت به.

مقصود سورة سبأ

لو تأملت السورة لوجدتها جاءت لتقرير معنى الشكر لله تعالى وذكر جزاء الشاكرين والتحذير من الجحود وذِكر عاقبة الجاحدين، حيث ذكرت نموذجين للشاكرين وهذا يتمثل في داود وسليمان عليهما السلام، ونموذجاً للجاحدين وهو يتمثل في قوم سبأ وكيف قابل كلٌ من هذين الفريقين نِعم الله عليهما.

ما علاقة الشكُر والجحود بالتوفيق والخذلان؟

الشكر من أعظم أسباب التوفيق، أما الجحود فهو من أعظم أسباب الخذلان وهذا سيظهر واضحاً عند تدارسنا لقصة داود وسليمان عليهما السلام وقصة قوم سبأ.

مبحث في الشكر

*المحور الأول: ما هي منزلة الشكر في الشرع؟

الشكر توحيدٌ لله، ومنزلة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بل هو نصف الدي ن فالدين نصفه شكر ونصفه صبر. قال ﷺ "**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحدٍ إلا لمؤمن إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له وان أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له**".[1]

جاء الشكر مقروناً بالعبودية ﴿**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ [البقرة:١٧٢]

وجاء مقروناً بالتقوى ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران:١٢٣]

وجاء مقرونا بالإيمان ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ**﴾ [النساء:١٤٧]

- والشكر محبوب عند الله تعالى ويرتضيه لعباده ﴿**وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾ [الزمر :٧] أي أن الشكر يوصل العبد إلى مقام الرضى، أن يرضى الله عنك، وإذا رضي الله عنك رضيت عنك السماء، ورضيت عنك الأرض، ورضيَ عنك الناس، ورضيَ عنك كلُ شيء.
- كما أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنَّتِه عليهم من بين عباده فقال ﴿**وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ [الأنعام:٥٣]
- وعلَّق الله سبحانه المزيد بالشكر ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم:٧] والمزيد منه سبحانه لا نهاية له.

*المحور الثاني: ماذا نحتاج حتى نصل إلى الشكر؟

توفيق	تذلكُّ النِعم	إبتهال

(أركان الشكر)

[1] رواه مسلم (٢٩٩٩)

أولاً: التوفيق

الموفقَّ من وفقه الله تعالى للشكر، فكل خيرٍ أصله توفيق الله للعبد، والله عز وجل يقول ﴿**وقليلٌ من عبادي الشكور**﴾.

وحتى تفهم هذا التوفيق تأمل حال الثلاثة الذين اخبرنا رسول الله ﷺ عنهم كما جاء في كتاب الأنبياء في صحيح البخاري وهم (الأبرص، والأقرع، والأعمى) أراد الله أن يختبرهم ويمتحنهم فأرسل إليهم ملكاً جاء للأبرص فسأله: أيّ شيءٍ أحبُ إليك؟ قال: لونٌ حسن وجلدٌ حسن فقد قذِرني الناس "بمعنى أن الناس كانت تنفر منه وتستقذره فيجلس لوحده بلا أنيس ولا جليس " فمسح عليه فذهب عنه "أي ذهب عنه البرص" وأُعطي أمنيته التي تمناها. ثم سأله أيضاً أيُّ المال أحبُ إليك؟ قال: الإبل. فأعطِيَ ناقة عُشراء، وقال: يبارك لك فيها فنمت وتكاثرت حتى أصبح عنده وادٍ من الإبل. ثم ذهب المَلك للأقرع وسأله: أيُّ شيء أحبُ إليك؟ فقال: شعرٌ حسن ويذهب عني هذا الذي قذِرني به الناس. فمسح عليه فأعطِيَ شعراً حسناً ثم سأله أيُّ المال أحبُ إليك؟ قال: البقر فأعطِيَ بقرةً حاملاً وقال: يبارك لك فيها فنمت وتكاثرت حتى أصبح عنده وادٍ من البقر. ثم ذهب للأعمى وسأله نفس السؤال فتمنى أن يرد الله عليه بصره فمسح عليه فرجع إليه بصره ثم سأله: أيُّ المال أحبُ إليك؟ فقال: الغنم. فأعطاه شاةً والداً فنمت وتكا ثرت. ثم جاءت ساعة الامتحان، فأرسل المَلك لكل واحدٍ منهم على هيئته القديمة التي كان عليها. جاء للأبرص على هيئة رجل أبرص و رقق له الكلمات فقال: رجلٌ مسكين تقطعت بي الحبال في سفري ولا بلاغ اليوم لي إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي أعطاك هذا اللون الحسن والجلد الحسن ، وهذا المال بعيراً أتبلغ به في سفري.

بماذا رد عليه؟

قال: الحقوق كثيرة "بمعنى أنا رجل مديون والناس يطلبونني وعليَّ حقوق لو أعطيتك سينتهي مالي". فرد عليه الملك: كأني أعرفك ألم تكن أبرصَ يقذَرُكَ الناس، فقيراً فأغناك الله؟ فقال: لقد ورثته كابراً عن كابر "بمعنى أنا إنسان من أصلي غني وأتقلّب في الغنى والأموال أباً عن جد ولم أذق طعم الفقر". فقال له: إن كنت كاذباً صيرَّك الله إلى ما كنت عليه فرجع أبرصاً !! والأقرع أيضاً قال وفعل مثل هذا الأبرص وأنكر وجحد وقال له المَلك إن كنت كاذباً صيَّرك الله

إلى ما كنت عليه فرجع اقرعاً. أما الأعمى كان رده مختلفاً عن صاحبيه فلما سأله المَلك شاةً يتبلغ بها في سفره رد عليه بقوله: لقد كنت أعمى فرد الله علي بصري، وكنت فقيراً فأغناني الله فخذ ما شئت فوالله لا أجهَدُكَ اليوم بشيءٍ أخذته لله . فقال له: امسك عليك مالك فإنما ابتُليتم فقد رضيَ اللهُ عنك وسخِط على صاحبيك.

الأبرص والأقرع خُذِلا، والمخذول مصروف لعداوة نفسه، جحدا نعمة الله، نسبا النعمة لأنفسهما، لم يؤديا شكر النعمة فسلبها الله منهم. وهذا من آثار خذلان الله لهما.

أما الأعمى اعترف بنعمة الله عليه لم يجحدها ولم ينسبها لنفسه فبقيت بين يديه. وهذا من توفيق الله له.

- ومن علامة الشاكر أنه يذكر حاله الأول وهذا الذي صدر من الأعمى " لقد كنت أعمى فرد الله علي بصري، وكنت فقيراً....."

تأمل كلمات النبي ﷺ في غزوة حنين لما قسمّ الغنائم ولم يعطِ الأنصار منها شيئاً، فكأنه وقعَ في قلوبهم شيئاً فقالوا: (لقيَ رسول الله قومه) أي أعطاهم وتركنا. فجمعهم النبي ﷺ وقال: "**ما حديثٌ بلغني عنكم يا معشر الأنصار ؟ والله لو شئتم لقلتم فصَدَقت لكم وصُدِقتُم أتيتنا مُكذباً فصدقناك، مخذولاً فنصرناك، عائلاً فواسيناك...أوجدتم عليَّ يا معشر الأنصار في لعُاعةٍ من الدنيا تألفتُ بها أقواماً ووكلتكم إلي إسلامكم والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنتُ اِمرئً من الأنصار ولو سلك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شِعباً لسلكتُ مع الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار** ". فبكوا حتى بلوّا لحاهم وهم يسمعون هذا الحب المُعلن وهذا الوفاء والشكر لمعروفهم وعدم التنكر لهم، والدعاء لهم ولأولادهم فقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، رضينا برسول الله قسماً وحظاً.

- عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين وهو الذي جيّش الجيوش ودوّن الدواوين ، جمع الناس وصعد المنبر. لماذا؟ ليقول للناس: "لقد كنت أرعى غنم آل فلانٍ في قريش على قراريط ثم بكى ونزل". تذكر حاله الأول ماذا كان وماذا أصبح.

• أبو هريرة رضي الله عنه أراد أن يتمخط فأخرج منديلاً فإذا هو (من الكِتّان) فقال:بخٍ بخٍ يا أبا هريرة تتمخط في كِتّانٍ ثم قال: لقد رأيتني وأنا اعمل عند إمرأةٍ من الأنصار على عِوَزِ كبدِي (أجرة بطني).

فمن علامة الشاكر وأنه شاكر أن يذكر حاله الأول ولا يجحد نعمة الله عليه.

ثانياً: تذكرُّ النعم

تذكر النعم مطلب شرعي لابد من تحقيقه، الله عز وجل يذكرنا بنعمه الظاهرة والباطنة

• **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾** [فاطر:٣]

• **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾** [البقرة:٤٠]

• يخاطب عيسى عليه السلام **﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾** [المائدة:١١٠]

- التوحيد نعمة، والقرآن نعمة، الأعمال الصالحة نعمة، الصلاة نعمة حُرِمها الكثيرون وتمضي أيامهم وأعمارهم بلا صلاة وما يدري هؤلاء المساكين أنهم بتركهم للصلاة قد قطعوا صِلتهم بربهم.

- الأذكار والنوافل والمحافظة عليها نعمة، العلم نعمة، مجالسة أهل العلم نعمة.

- الوالدين نعمة، الأمن والسِتر نعمة، الصحة والعافية نعمة ; أن تقوم في الصباح وأنت تحرك يديك ورجليك، لا يحملك احد ولا يكشف عورتك أحد، هذه من أجلِّ نعم الله عليك.

والله لو حِيزت لك الدنيا بما فيها ولكنك قمت مُقعداً قد شُلّت أطرافك فلن تُغني عنك الدنيا بما فيها شيئاً .

الشكر يحتاج إلى تذكر النعم فلن تكون شاكراً إلا إذا امتلكت قلباً حساساً تِجاه النعم، يشهد بنعم الله عليك الصغيرة قبل الكبيرة منها . وكلما رُزِقت تيقنتَ أن الله قد سبقك بنعمته و أنكَ عاجزٌ عن حصر نعم الله عليك وعاجزٌ عن توفية حق الشكر عليها ومن هنا يبدأ شكر القلب.

فأركان الشكر ثلاثة:

- أن يكون بالقلب اعترافاً وشهوداً.

-وباللسان حمداً وثناءً.

-وبالجوارح طاعةً وانقياداً.

فإذا استقر هذا الشكر بالقلب جرى على اللسان التحدث بنعمة الله بلا فخر ولا رياء ولا سمعة، والحمد والثناء على هذه النعمة.

لك الحمد يا ربي على كل نعمةً ومن جُملةِ الإنعام قولي لكَ الحمدُ

ولا حمد إلا منك تُعطيه نعمةً تعاليتَ أن يقوى على شُكرك العبدُ

وتأمل حال هذا الرجل الذي شكر قلبه وفاض الحمد على لسانه، إنه أبو قلابة صاحب ابن عباس رضي الله عنه. قصته طويلة مبسوطة في كتب التراجم وهي باختصار أن هذا الرجل فقد يداه ورجلاه وبصره وما بقي فيه جارحةٌ تتحرك، مرَّ به رجل وهو وحيدٌ في خيمته ليس عنده أحد وقد سمعه يقول "**اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وفضلتني على كثيرٍ ممن خلقت تفضيلا** ".إستعجب الرجل من هذا الحمد العظيم الذي يحمده هذا الرجل المشلول المُوعد الذي لا حِراك به فقال له: أيّ نعمةٍ من نعم الله عليك تحمدهُ عليها؟ فقال: أحمده أن أنعم عليّ بهذا اللسان الذي اذكره به.

بهذا الحمد وبهذا الصبر وبهذا الرضا نال الرجل منزلةً عالية! فقد كان له ابن يخدمه ويقوم على شأنه ففقده، فطلب من الذي مرّ عليه في خيمته أن يبحث له عن ابنه فوجده قد مات – أكلته السباع– فدخل عليه وأخبره. فلما سمع بموت ابنه حمِد ربه حمداً فوق حمده الأول فقال : "الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه " ثم شهق شهقةً فمات.غسله الرجل وكفنه ودفنه فلما نام من ليلته رآه في منامه وهو في روضةٍ من رياض الجنة وعليه حُلة من حُلل الجنة ويتلو ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ فقال: ألست بصاحبي؟ قال: بلى فقال: أنّى لكَ هذا؟ قال: إن لله درجات لا تُنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله في السر والعلن.[1]

[1] رواه إبن حبان في الثقات- نقلاً عن صلاح الأمة في علوّ الهمة.

الشاهد من القصة: أن هذا الرجل كان صابراً حامداً لله امتلأ قلبه بالحمد وأصبح ديدنُهُ الحمد فرفعه الله بالحمد.

والحمد عبادة من أجلِّ العبادات، بل كما قال صلى الله عليه وسلم "**ما أنعم الله على عبدٍ نعمة فحمِد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة** ".[1] وبيَّن لنا عليه الصلاة والسلام وزن هذه الكلمة بقول "**والحمد لله تملأ الميزان**".[2]

دخل أعرابي على رسول الله ﷺ فقال له: إني عالجتُ القرآن فلم استطعه فعلمني شيئاً يُجزئ من القرآن؟ قال: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر . فأمسكها الأعرابي بأصبعه وقال: هذا لربي. فمالي؟ قال: تقول "**اللهم أغفر لي وأرحمني وعافني و أرزقني**". وأحسبه قال وأهدني. وذهب الأعرابي فقال الرسول ﷺ "**ذهب الأعرابي وقد ملأ يدهُ خيرا**".[3] وقال عليه الصلاة والسلام "**أفضل الدعاء الحمد لله**".[4]

<u>الحمدُ ثناءٌ على الله فلماذا قال عنه رسول الله أنه أفضل الدعاء؟</u>

إتفق أهل العلم على أن أرفع وأعظم أنواع الأدعية هو الدعاء الذي يثـــني فيه العبد على ربه حتى لو لم يتضمن طلباً أو سؤالاً لأن القاعدة تقول "إذا انشغل العبد عن حاجته بالثـــناء على ربه أعطاه الله أفضل مما يُعطي السائلين".

ومن هنا كان أفضل الدعاء يوم عرفة هو قول "**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير** ". وكان دعاء الكرب هو "**لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**".

كلها لا تتضمن طلباً ولا دعاءً وإنما هي تنزيه وتقديس وتمجيدٌ وثـــناء على الله، والله حييّ كريم لن يمدحه عبده ويثني عليه ويمجده ثم يخرجه صفر اليدين خاوياً . فالرب كريم وكلما غلّبَ العبدُ الثـــناء أعطاه الله أفضل مما يعطي السائلين، يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء سبحانه وبحمده.

---

[1] صحيح الجامع (٢٥٦٢)
[2] صحيح مسلم (٢٢٣)
[3] سنن أبي داود (٨٣٢)
[4] صحيح الجامع (١١٠٤)

وقد افتتُحِت السورة بالحمد كما أسلفنا ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾.

أثنى الله على نفسه وهو المحمود قبل أن يحمده الحامدون، محمودٌ بجميع أنواع المحامد، حميدٌ من كل الوجوه "أسماؤهُ حمد، وصفاتهُ حمد، وأفعالهُ حمد، وأحكامهُ حمد، وعدلهُ حمد، وفضلهُ حمد، وانتقامهُ حمد" ولا أحد يستحق الحمد إلا هو جل جلاله المنعم المتفضل على عباده في الدنيا والآخرة.

*المحور الثالث: معنى اسم اللّه " الشكور "

معنى اسم "الشكور": هو الذي يجازي على المعروف بأكثر منه، ويعطي الكثير على العمل القليل، ويضاعف الأجر بلا حساب.

ومن صور شكر الله لعبده:

- أنه إذا انعقد قلبك في السير إليه جل جلاله ومشيت إليه شبراً مشى إليك ذراعاً، وإذا مشيت إليه ذراعاً مشى إليك باعاً. وفي الحديث القدسي "**عبدي قُم إليّ أمشي إليك، وامشِ إليّ أهرول إليك**".[1]
- ومن شكره أنه ينشرُ للعبد طِيبَ إحسانه فيثْـني عليه بين ملائكته وفي ملأه الأعلى ويلقي له الشكر بين الناس.
- من شكره أنه يشكر للعبد حتى حركة قلبه ويجازيه عليها أضعاف أضعاف ما كان يتصوره. سحرة فرعون صدقوا مع الله في توبتهم وكرههم للسحر وكان الله مطلعاً على قلوبهم شاهدٌ على ما قام فيها، فشكر لهم صدقهم فثبتهم وربط على قلوبهم وأفرغ عليهم صبراً ورفع ذكرهم وأنزل فيهم قرآناً.
- من شكره لعبده أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة.
- ومن شكره لعبده أنه غفر لامرأةٍ بغيّ (محترفة زنا ومتمرسة فيه قضت سنوات من عمرها في الزنا والبغاء) غفر لها لأنها سقت كلباً! وهل سُقيا كلب تمحو هذه الكبيرة الفظيعة الشنيعة؟

[1] السلسلة الصحيحة (٢٢٨٧)

إنه الغفور الشكور الذي لا يُقال له لِمَ وكيف و لماذا؟

إنه الرب الشكور سبحانه وبحمده ويحب من عبده أن يكون شكوراً وقد قال ﷺ "**لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناس**".[1] أي من كان طبعه كفران نعمة الناس وعدم الاعتراف بجميلهم ومعروفهم وكانت هذه هي عادته مع الناس فهي هي عادته مع الله.

لذلك إبراهيم عليه السلام لما زار ابنه إسماعيل في ارض الحجاز ولم يكن في بيته وخرجت زوجته إليه وسألها كيف أنتم؟ فأخذت تشتكي من الفقر والقِلّة و..... قال لها: إذا رجع قولي له غيِّر عتبة بابك أي طلِقها. لماذا؟ لم تشكر ولم تذكر نعمة الله عليها. الوفاء عندها قليل والله يحب من عباده الأوفياء ويحب من عباده الشاكرين المعترفين بفضل الله عليهم وبفضل كل ذي فضلٍ عليهم. جعلنا الله وإياكم من الشاكرين.

وأختم بهذه الأبيات لأبي تمام:

ومن الرَّزيَّةِ أن شُكريَ صامتٌ عمّا فعلتَ وأنَّ بِرَّكَ ناطِقُ

أأرى الصنيعةَ منك ثُمَّ أُسِرُّها إنّي إذاً لِنِدى الكريمِ لسارِقُ

أخيراً: الشكر يحتاج إلى ضراعة

صفوة الخلق كانوا يسألون الله أن يرزقهم يعينهم على الشكر " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين".

وهاهو دعاء نبينا ﷺ الذي علّمه لِمعاذ رضي الله عنه "**اللهم اعنّي على ذِكركَ وشكركَ وحُسنِ عِبادتك**". وأخبرنا عليه الصلاة والسلام "**من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمِنك وحدك لا شريك لك . فلك الحمد ولك الشكر فقد أدّى شكر ليلته**".[2]

---

[1] رواه أبو داوود والترمذي وقال حسنٌ صحيح

[2] رواه أبو داود والنسائي

وقال ﷺ "**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكل ةَ فيحمدهُ عليها أو ليشرب الشربةَ فيحمده عليها**".[1]

وقال عليه الصلاة والسلام "**من صُنِع إليه معروفٌ فقال لفاعِله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء**".[2]

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه "أسألك تمام النعمة في الأشياء كُلِّــها ، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والخيرةُ في جميع ما تكونُ فيه الخيرةُ بجميع ميسورِ الأمور كُلِّــها لا معسورِها يا كريم".[3]

[1] رواه مسلم (٢٧٣٤)
[2] رواه الترمذي وقال حسنٌ جيد
[3] عدة الصابرين نقلاً عن نضرة النعيم

قصة داود وسليمان عليه ما السلام

تحدثت السورة عن نبيين كريمين من أنبياء بني إسرائيل هما داود وسليمان عليهما السلام

- أثنى الله عليهما بالعلم ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾. [النمل:١٥]
- جمع الله لهما بين النبوة والملك واشتهرا بالقضاء والحكمة.

المحور الأول: من هو داود عليه السلام؟

دعنا أيها القارئ الكريم نرجع مع بني إسرائيل لعهد موسى عليه السلام حيث كانوا يعيشون في أرض مصر، فاستعبدهم فرعون وأذلهم فكانوا في قمة الذل والاستضعاف والهوان . ثم نجاهم الله عزّ وجل وأغرق فرعون وجاوز بهم موسى عليه السلام البحر متوجهاً إلى الأرض المقدسة، ثم أمرهم بأمرٍ قائلاً ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَ رْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة:٢١] جهزوا أنفسكم للجهاد وفتح بيت المقدس ومقاتلة القوم الجبارين فيها. هل انصاعوا لأمر نبيهم؟ لا لم ينصاعوا، بل خالفوا ورفضوا الجهاد واستهزءوا به وقالوا "فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون"

عاقبهم الله بالتيه،﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ** ﴾. [المائدة:٢٦] هكذا كان العقاب تِيهٌ وضلال في الأرض مدة أربعين سنة، هم اختاروا القعود فوكلهم الله إليه فقعدوا لا يخرجون من مكان قعودهم مدة أربعين سنة، يظل أحدهم طيلة الليل يطوف باحثاً عن مخرج ليجد نفسه في الصباح قد رجع لنفس المكان الذي قد بدأ منه ! حلقة مُفرغة يدور فيها بنو إسرائيل. هكذا كانت حياتهم في أرض التيه.

وهم هناك، مات هارون عليه السلام ومات موسى عليه السلام ولم يدخلوا بعد للأرض المقدسة. ثم أصبح (يوشع بن نون) فتى موسى عليه السلام الذي اصطحبه معه في رحلته

للخضر نبياً لهم، فبدأ يجهزهم ويعدهم لفتح بيت المقدس، وخرج بهم في يوم جمعة وبدأ حربه مع القوم الجبارين.

كادت الشمس أن تغيب وهو لم ينتهِ من حربه بعد، فنظر للشمس وقال أنتِ مأمورة وأنا مأمور " اللهم فاحبسها عليّ" فحبسها الله عليه، وهذه آية لم يعطها الله لأحدٍ غيره. أكمل قتاله وانتصر وفتح بيت المقدس ودخل ببني إسرائيل للأرض المقدسة، تتابعت الأعوام ثم مات يوشع بن نون عليه السلام وخلفه نبي آخر على بني إسرائيل، وقامت بينهم وبين القرى المجاورة لهم حروبٌ عديدة، لحقتهم فيها الهزائم ونزلت بهم المصائب، وفقدوا تابوتهم المقدس الذي كانوا يتباركون به.

ذهبوا لنبيهم يطلبون منه أن يجعل لهم ملكاً قائداً يسوسهم ويقودهم في حروبهم فأجابهم نبيهم "إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ". ولما استقر المُلك لطالوت بدأ في إعداد جيشه لمقاتلة جالوت وجنوده، وجالوت هو قائد القوم الجبارين وكان قائداً مشهوراً بالرعب.

لما رأى بنو إسرائيل جالوت وجنوده ورأوا جيشاً جرّاراً لا يُدرى أوله من آخره، أصابهم الفزع والهلع والخوف وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . هنا انتفضت الفئة الأكثر إيمانا والأكثر يقيناً وتوكلاً في تثبيت الفئة التي بدأت تهتز وتضطرب قائلين لهم "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين". ومن ضمن هذه الفئة رجلاً قوياً في إيمانه وعزمه وشجاعته وهو داود عليه السلام ولم يكن نبياً بعد، لم يُرِعه مشهد جيش جالوت وجنوده بل إنه أقدم وانبرى وقتل القائد العظيم جالوت "وقتل داود جالوت" وحصل النصر لبني إسرائيل ، وفرحوا بهذا النصر وأحبوا داود ومالوا إليه ثم أصبح ملكاً لهم بعد موت ملكِهِم طالوت.

"وآتاه الله المُلك والحكمة" جمع الله له بين المُلك والنبوة فكان داود عليه السلام من الملوك الأنبياء ووصف الله مُلكه بقوله "وشددنا مُلكه". قال القاسمي رحمه الله: أي قوّيناه بوفرة العدد والعُدد ونفوذ السلطان وإمداده بالتأييد والنصر.[1]

[1] محاسن التأويل

يُعتبر مُلك داود وسليمان عليهما السلام "العهد الذهبي لبني إسرائيل" ففي هذه الحقبة من الزمان لم يخُض بنو إسرائيل أية حروب ولم يُبتلوا بالهزائم والإذلال والإستعباد بل كانوا في أوجِ مجدهم وعزهم ورفعتهم فكان هذا هو أزهى عصورهم.

المحور الثاني: النِعم التي أنعم الله بها على داود عليه السلام:

١ -وهبه الله صوتاً جميلاً نديا شجيّاً فكان إذا سبّح سبّحت معه الجبال والطيور. يقول إ بن عباس رضي الله عنه: "كانت الطير تسُبحِّ معه إذا سبّح وكان إذا قرأ لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته وبكت لبكائه".[١]

٢ -خفّف عليه القرآن -زبور داود- فكان يقرأه قبل أن تسرج دوابه. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "**خُفِّف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتُسرج فيقرأ القرآن قبل أن تُسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يده**".[٢]

٣ -ألآن الله له الحديد. قال الحسن البصري والأعمش وغيرهم: كان لا يحتاج أن يدخله في النار ولا يطرقه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيط فتلاً.

٤ -علّمه الله صناعة الدروع ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ**﴾ [الأنبياء:٨٠]. قال قتادة : فكان أول من عمل الدروع. وعلّمه كيف يصنعها وقال "وان اعمل سابغاتٍ وقدّر في السرد" أي اجعل العمل متقناً بحيث تكون المسامير التي ستوضع في حلقات الدروع مطابقةً لها تماماً ولا تجعل الحلقة واسعة فيدخل فيها المسمار فيتحرك، ولا تجعلها ضيقة فيدخل فيها فينكسر.

٥ -ميّزه الله بالقوة. قال تعالى ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص:١٧]. كان قوياً في بدنه، قوياً في عبادته يتعبد ربه ليلاً ونهاراً. قال عنه ﷺ "**كان داود أعبدُ الناس**".[٣] وعنه ﷺ "**أحبُ الصلاةِ إلى الله صلاة داود وأحبُ الصيامِ إلى الله صيام داود كان ينام**

---

[١] زاد المسير (١١٤٤)
[٢] رواه البخاري- أحاديث الانبياء
[٣] رواه مسلم (١١٥٩)

نصف الليل ويقوم ثُلثه وينام سُدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يُفط ر إذا لاقى "[1]، فكان عليه السلام من أعبد البشر في زمانه.

قصة داود والخصم إذ تسوّروا المحراب:

قال تعالى ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)**﴾ [ص:٢١-٢٦].

فوُجِئ نبي الله داود وهو مُخلٍ في محرابه يتعبد ربه بشخصين قد تسوّروا المحراب – نزلا عليه من أعلى السور– فإذا هما واقفين أمامه، ففزع منهم، أخذا يطمئنانه "لا تخف خصمان بغى بعضهما على بعض" وجئنا للتقاضي أمامك فاحكم بيننا بالحق. فبدأ أحدهما يتكلم: إن هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةٌ ولي نعجةٌ واحدة فقال: أكفلنيها (أي اجعلها لي وفي مُلكي وكفالتي) وعزّني في الخطاب (شدّد علي وأغلظ في القول).

هذه هي القضية التي عرضت على داود على لسان احد الخصمين. ومن الوهلة الأولى لسماع هذه القضية وهذه المظلمة الصريحة أصدر داود حُكمه "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إ لى نِعاجه" شعر أن صاحب هذه النعجة مظلوم وأن أخاه معتدٍ ظالم، فاستعجل في الحكم من دون أن يسمع لحُجة الخصم الثاني أو أن يترك له فرصة للبيان أو الدفاع عن نفسه وهذا ليس من العدل ولا من الإنصاف. وبمجرد ان حكَمَ عليه السلام بهذا الحكم اختفى من أمامه الخصمان، فعلِم داود أن المسألة ليست مجرد خصمين عاديين من البشر وإنما هم ملائكة والمسألة كلها كانت

[1] صحيح البخاري (٣٤١٩)

اختبار وامتحان وابتلاء "وظن داود انما فتناه" وهنا أدركته طبيعته أنه أواب كثير الأوبة والرجوع لربه "فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب".

قال القرطبي رحمه الله: ان داود سجد خاضعاً لربه، معترفاً بذنبه، تائباً من خطيئته، ف إذا سجد أحدٌ فيها فليسجد بهذه النية، فلعل الله ان يغفر له بحرمة داود الذي إتبعه".[1]

قال أبو حيان: وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ضربنا عن ذكرها صفحاً، ونحن نعلم مطلقاً أن الأنبياء معصومون من الخطايا، اذ لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك لبطُلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون، فما حكى الله في كتابه يُمرُّ على ما أراده الله وما حكى القُصّاص مما فيه غضٌ عن منصب النبوة طرحناه".[2]

وقد غفر الله لنبيه هذه الهفوة وسامحه وعفا عنه، وانّ له لقربةً وكرامةً بعد المغفرة وحسن مرجع في الآخرة. وقد جعله الله خليفة في الأرض وهذا مما يدل على مكانته عليه الصلاة والسلام واصطفاء الله له ويرفع من الصدور ما نُسِب إليه من تلك الإسرائيليات الموضوعة الباطلة.

وقفة مع الإنابة

الإنابة هي الرجوع إلى لله، بل الإسراع في هذا الرجوع.

قال ابن القيم رحمه الله: الإنابة: الإسراع إلى مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت .[3] والعبد لا يستطيع أن يتلبس بهذه المنزلة ويُنزل قلبه في منزلة الإنابة، ويسرع في الخُطى والرجوع إلا إذا ندم واعترف بزلته، وطأطأ رأسه ولسان حاله يقول (يا رب هُدنا إليك ، أُبنا إليك، رجعنا إليك، هذه نواصينا بين يديك...). بهذه الإنابة السريعة وبهذا الرجوع يتدارك العبد نفسه، ويُصلح ما فاته، ويُرمِّم ما هُدم من حسناته وإيمانه.

وقد أخبرنا ﷺ **"بأنه يدخل الجنة أقوامٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير"**[4] قلوبهم مثل قلوب الطير في ضعفها، في لينها، في رقتها، وفي خوفها . هذا الصنف من البشر الواحد منهم إذا

---

[1] تيسير المنان في قصص القرآن ٢٨٥
[2] البحر المحيط بتصرف نقلاً عن التفسير الموضوعي
[3] مدارج السالكين
[4] رواه مسلم ٧٠٩

أذنب ولو ذنباً يسيراً تجده ينتفض كما ينتفض العصفور لو قطرت على جسده قطرات من الماء. هم كذلك ينتفضون لأن المنيب هو صاحب قلب رقيق كثير التأوه، كثير الأنين، إذا وقع سرعان ما يعود.

وهاهو نبينا عليه الصلاة والسلام يقـول في دعائه:

"ربِّ أعنِّي ولا تُعِن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، وأهدني ويسرّ الهُدى لي، وانصرني على من بغى عليّ ، ربّ اجعلني لك شكّاراً، لك ذكّاراً، لك رهّابا، لك مُطيعاً، إليك مُخبتاً إليك أوّاهاً مُنيباً، ربِّ تقبّل توبتي واغسل حوبتي وأجِب دعوتي، وأهدِ قلبي، وسدِّد لساني، وثبِّت حُجتي، وأسلُل سخيمة قلبي".[1]

قصة قضاء داود عليه السلام في الغنم التي نفشت في حرث القوم

قال تعالى ﴿**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾. [الأنبياء:٧٨-٧٩]

هذه قضية رُفعت لداود عليه السلام ليحكم فيها، رجلٌ عنده مزرعة مليئة بالأشجار والثمر، وأخر عنده غنم، وفي ليلة أقبلت هذه الغنم على المزرعة فأفسدت الزرع ولم يبقَ منه شيء . والنفش لا يكون إلا بالليل، ويُقال: أنفش الراعي يعني تركها ترعى بالليل ونام عنها.

فاحتكم أصحاب المزرعة إلى داود عليه السلام. بماذا حكم؟ أن تُدفع الغنم كلها لصاحب البستان تعويضاً له عن زرعه الذي أُتلف. ولكن ابنه سليمان كان حاضراً يشهد هذه القضية فابتدر أباه قائلاً: إن لي رأياً في هذه القضية وهو أن تُدفع الغنم إلى صاحب البستان فينتفع منها، وأن يُعطى البستان لصاحب الغنم يزرعه ويحرثه و يتعاهده حتى إذا ستوى الزرع وحان وقت الحصاد تُسلّم المزرعة إلى أصحابها ويتسلم أصحاب الغنم أغنامهم. فلما سمع داود عليه السلام هذا الرأي من ابنه قال (وُفِقت يا بُنيّ) وأفتى به. وهذا هو قول الله تعالى "ففهمناها سليمان".

وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "**بينما امرأتان معهما ابناهما، إذ عدا**

---

[1] رواه أبو داود (١٥١٠)

الذئب فأخذ ابن إحداهما ، فتنازعا في الآخر ، فقالت الكبرى : إنما ذهب بإبنك، وقالت الصغرى إنما ذهب بإبنك، فتحاكما إلى داود فحكم به للكبرى. فخرجتا على سليمان فقال : ائتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدةٍ منكما نصفه، فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها . فقضى به لها".

وفاة داود عليه السلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : **"كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أُغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله احد حتى يرجع . قال : فخرج ذات يوم وغُلقت الدار فأقبلت امرأته تتطلع إلى الدار فإذا رجلٌ قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لتفضحنّ بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائمٌ وسط الدار فقال له داود: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا امنع من الحجّاب . فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله. ثم مكث حتى قبضت روحه، فلما غُسل وكُفنّ وفُرغ من شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير : أظلي داود فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير: اقبضي جناحاً".**[1]

تأمل قول داود عليه السلام لملَك الموت (مرحباً بأمر الله). السعيد من عباد الله من يأتيه الموت وهو قريبٌ من الله، يأتيه وقلبه معمورٌ بالله . بعض السلف لمّا حضرته الوفاة نظر إلى السماء وهشّ وبشّ ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، لأنه رأى البشارة، رأى ما سيقدم عليه، ففرح وسعِد وهشّ وبشّ.

والسعيد من يلقى الله فيفرح... والمحروم من يلقاه فيحزن. ولا يفرح بلقاء الله إلا من أحبّ الله بصدق، وسأل الله بصدق "اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك". فعلى قدر الشوق هنا تكون لذة النظر إلى وجهه جلّ جلاله هناك.

والنظر إلى وجهه الكريم سبحانه وبحمده هي الكرامة التي لا مزيد عليها. أهل الجنة وهم في الجنة منعّمون بنعيمها إذا نظروا لوجه الله تعالى نسوا حتى نعيم الجنة من لذة النظر.

---

[1] رواه أحمد (٢/٤١٩)- قصص القرآن ٣٩٣

اللهم إنا نسألك من فضلك ونسألك لذة النظر إلى وجهك.

لقد مات داود عليه السلام بعد أن أتم المائة وقد جاء في الحديث أن الله عز وجل بسط كفه فإذا هو كائن من ذرية ادم في كف الرحمن فإذا رجال منهم أفواههم النور، فإذا برجلٍ يعجب آدم نوره فقال يا رب من هذا؟ قال: ابنك داود، قال: يا رب فكم جعلت له من العمر؟ قال: جعلت له ستين. قال: يا رب فأتمّ له من عمري حتى يكون له من العمر مائة سنة، ففعل الله ذلك، وأشهدَ على ذلك".[1]

[1] وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه- الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه، نقلاً عن قصص القرآن لحامد بسيوني ص ٣٨٦

سليمان عليه السلام

فضائله

١ -ثناء الله عز وجل له. قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠)﴾ [ص:٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله : يقول الله تعالى مُخبِراً أنه وهب لداودَ سليمان أي نبياً كما قال عز وجل "وورث داود سليمان" أي: في النبوة.

وقفة:

إن مِن أعظم نِعم الله على العبد أن يهبه ولداً صالحاً تقِرُّ به عينه . فإذا سألت ربك الذرية فاطلب ولداً صالحاً حتى لا يكون هذا الولد غصّة في حلقك، ملهاة لك مُشغِلٌ لك عن أمور دينك ودنياك. فإن بعض الذرية لا يزيدون أهاليهم ووالديهم إلا خساراً والعياذ بالله، وهذا ما حكاه نوح عليه السلام عن قومه فقال: ﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا (٢١)**﴾ [نوح:٢١]

جمع الله له بين النبوة والمُلك كما جمع لأبيه، وزاده مُلكاً عظيماً لم ينله أحدٌ قبله ولا يناله أحدٌ بعده. قال تعالى ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)**﴾ [ص:٣٦-٣٩]

قال القرطبي: "هذا عطاؤنا" الإشارة بهذا إلى المُلك، أي : هذا المُلك عطاؤنا فأعطِ من شئت، أو امنع من شئت لا حساب عليك.

٢ -مع نبي الله سليمان عليه السلام (في رحاب سورة سبأ)

قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ**

غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾ [سبأ:١٠-١٤]

١ -سخّر الله له الريح تقطع في الغدو والرواح مسيرة شهر مما يدل على سرعتها الفائقة.

وصف الله هذه الريح بأنها "تجري بأمره رخاءً حيثُ أصاب"، ريحٌ مسخّرة لسليمان تسير بأمره حيث شاء سريعةٌ مأمونة الجانب ولينة. وهي آية فريدة لا يمكن للبشر مهما أوتوا من قوة أن يتمكنوا منها ويتحكموا بها.

قال ابن كثير رحمه الله "لمّا ترك سليمان الخيل ابتغاء وجه الله عوّضه الله بالريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كُلفة عليه لها".[١]

ما هي قصة الخيل التي تركها سليمان؟

يقول تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣)﴾ [ص:٣٠-٣٣]

عُرِض على سليمان عشية يوم من الأيام- بعد العصر- الخيل الأصيلة السريعة الجري التي تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة لنجابتها وخفتها فتشاغل بحُسنها وجريها ومحبتها عن صلاته حتى غابت الشمس واختفت عن الأنظار.

فقال سليمان مباشرةً مُعلناً توبته وأوبته ورجوعه السريع لربه "ردّوها عليّ" أي ردّوا عليّ الخيل التي عُرِضت من قبل فشرَع يمسح سوقها وأعناقها أي يذبحها تقرباً لله وتوبةً إلى الله لأنها شغلته عن ذِكر الله.

[١] تيسير المنان في قصص القرآن- ص ٢٩٠

٢ -أسَال الله تعالى القِطر لسليمان، والقِطر هو النحاس المُذاب الذي يُستخدم في أغراض السِلم والحرب وصناعة الآلات والأسلحة والتشييد والبناء.

٣ -سُخِّر له الجن والشياطين تعمل بأمره، فمنهم من يستخدمه لبناء الأبنية الهائلة العجيبة ومنهم من يغوص في البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان، وآخرين من الشياطين- المردَة- موثقون في الأغلال مربوطون بالقيود والسلاسل لكُفرهم وتمرُّدِهم عن طاعة سليمان.[١]

فسُخّر له الشياطين في بناء وتشييد المساكن والمحاريب. **والمِحراب :** كل موضع مرتفع، فقد يكون المقصود بها محاريب المساجد، وكل الأبنية المرتفعة من قصورٍ حصينة ودورٍ شريفة وحصونٍ منيعة.

تماثيل: وهي التصاوير والمجسمات المعروفة وقد كانت شائعة في شريعتهم.

جِفان: هي القِصاع أي القصعة التي يؤكل فيها الطعام.

كالجواب : جمع جابية وهي الحياض التي يجبى فيها الماء . ويُقال: كان يقعد على القصعة ألف رجلٍ يأكلون منها.

وقدور راسيات : وهي آلة الطبخ- ما يُطبخ فيها الطعام- ثابتات لها قوائم لا يُحرّكن عن أماكنها وقيل كان يُصعد لها بدرج! فلك أن تتخيل ضخامة وسِعة هذه الجِفان والقدور.

٤ -سُخِّر له الجنود من الإنس والجن والطير، وأفهمهُ ما يُخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها.

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية : أن سليمان عليه السلام مرّ بعصفور يدور حول عصفورة، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبي الله؟ قال : يخطُبها إلى نفسه ويقول: تزوجيني أُسكِنك أي غُرف دمشق شئتِ. قال سليمان عليه السلام لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد، ولكن كل خاطبٍ كذّاب".[٢]

---

[١] التفسير الموضوعي، سورة ص

[٢] البداية والنهاية (٢١/٢) قصة سليمان بن داود عليهما السلام. قال رواه ابن عساكر (١١٨/١٠)

وقال عبد الرزاق عن مَعْمر عن الزُهري أن سليمان خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملةً قائمةً رافعةً إحدى قوائمها تستسقي، فقال لأصحابه : "ارجعوا فقد سُقيتم. إن هذه النملة استسقت فاستُجيب لها".[1]

آتاه الله من كل شيء، فعرف لربه فضله فقال ﴿**وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُ وَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)**﴾ [النمل:١٦]

كان سليمان عبداً شاكراً لربه في كل أحواله وكلما جدّد الله عليه النعمة زاد في شكره واعترافه بفضل الله عليه.

- لما سمِع النملة وهي تُحذّر قومها وفهِم قولها تضرع لربه قائلاً ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)**﴾. [النمل:١٩] طلب من ربه أن يلهمه شكر هذه النعمة وهذه المِنّة وهذه المزيّة التي تميّز بها على غيره وأن يوفقه لشكرها ويُيسّر عليه العمل الصالح ويُدخله في عباده الصالحين.
- لما رأى عرش بلقيس أمامه، عرش عظيم على حُرّاس وهو في قصرها في اليمن، والمسافة بين اليمن وبيت المقدس ليست بالقصيرة ثم هاهو أمامه في لمح البصر [قبل أن يرتد إليك طرفك] معجزة عظيمة لم تــزِده إلا انكساراً واعترافاً وثناءً وشكراً . قال تعالى ﴿**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)**﴾ [النمل:٤٠]

هذا التسخير العظيم وهذا المُلك العظيم، انس وجن وطيور ودواب وريح، آيات وعجائب وخوارق يحارُ العقل فيها وفي مفرداتها، لا يمكن أن تُدرَك بالأسباب أو تُحصّل بالأسباب، إنما هو تقدير المِلك الوهّاب.

لذلك لما دعا سليمان ربه دعاه باسمه الوهاب ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ لأنه يعلم أن الله وحده هو الذي يهب ما لا يستطيع أحدٌ أن يهبه.

---

[1] **البداية والنهاية (٢٢/٢)**

يقول ابن القيم في نونيته:

وكذلك الوهّـــابُ من أسمـائـهِ فانظُر مواهِبهُ مدى الأزمانِ

أهلُ السمواتِ العُلى والأرضِ عن تلك المواهبِ ليس ينفكانِ

وقفة مع اسم الله "الوهّاب"

ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

-قال تعالى ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)**﴾ [آل عمران:٨]

-وقال تعالى ﴿**أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)**﴾ [ص:٩]

-وقال تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥)**﴾ [ص:٣٥]

ما هو تعريف الهبة؟

هي العطية الخالية عن الأغراض والأعراض والآلام والضرر.

متى تسمى العطية هبة؟

إذا كانت خالية من العِوض⇦ يُعطيك ولا ينتظر من وراء هذا العطاء عِوضٌ منك، بأن ترد له هذه العطية بمثلها أو بأحسن منها.

إذا كانت خالية عن الأغراض⇦ يُعطيك ولا ينتظر منك مدحاً ولا ثناءً ولا حظاً ولا رفع مذمة عنه، فيعطيك بغير عِوض ولا غرض.

إذا كانت خالية عن المكروه والضرر ⇦ عطية نقية لا ضرر فيها ولا مكر ولا استدراج ولا سوء ولا ألم، إنما هي هبةٌ ورحمةٌ وبركةٌ منه وفضلٌ عليك.

ولا يستحق أحدٌ أن يُسمى وهابا إلا إذا:

• تنوعت وهائبه وتعددت وكثُرت من جهة، ومن جهة أخرى استمرت ودامت واتصلت، فعلى هذا لا واهب على الحقيقة إلا الله عز وجل فهو سبحانه الذي تعددت مواهبه، يهب ما يشاء لمن يشاء: يهب المال، والجمال، العِلم، الولد، الدنيا، المُلك، والمتاع والطاعة والرحمة وال مغفرة والهداية ..... يهب كل شيء، كل ما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة هو هِبةٌ من الله ومتعلق باسمه الوهاب.

وهائبه وعطاياه تُدر على عباده بدون حصر ولا عد

-﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾ [مريم:٥٠]

-﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣)﴾ [مريم:٥٣]

-﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)﴾ [الأنبياء:٧٢]

-﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ﴾ [الأنبياء:٩٠]

هباتٌ متنوعة تعرِّفك قدر الوهاب وقيمة الهبة. فمن قرأ كلمة (وهبنا) بقلبٍ واعٍ حيٍّ وقّاد لعرِف وفهم أن معناها أعطينا بلا سؤال ولا طلب.. أعطينا ووسعنا في العطاء.. أعطينا ما لا يتُصور أن أحداً يعطيه، ووهبنا ما لا يستطيع أن يهبه أحدٌ لأحدٍ البتة.

• أيوب عليه السلام قال الله عنه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا﴾ [ص:٤٣]

قال جملة المفسرين: إن أيوب أبتُلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنه فرفضه القريب والبعيد وعافه الجليس، وأوحش منه الأنيس وانقطع عنه الناس وفقد جميع ماله وولده، ولم يبقَ له إلا زوجته البرّة الوفية التي كانت تخدمه وتقوم بشأنه حتى كانت تخدم الناس لتُطعمه، وما زاده هذا البلاء إلا صبراً واحتساباً وحمداً.

وبعد هذا الصبر أتت الوهائب. وهبه الله أهله ومثلهم معهم، أحيا له أولاده الذين ماتوا، شفى المريض منهم، جمع عليه من تشتت منهم، أعطاهُ مثل ما أخذَ منه وزاده عليه.

ليس ذلك فقط، بل أنزل عليه من السماء جراداً من ذهب ! كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه رِجْل جراد من**

ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكُن أغنيتك عما ترى؟ قال : بلى يا رب ولكن لا غِنى لي عن بركتك".[1]

هذا عطاء يدلك على سِعة هبة الله لعبده. طالما أن هذا العبد صبر لربه هذا الصبر وسكن له وتواضع وتضرّع فإن الله سيهبه بلا حصر ولا عد ولا عِوض ولا غرض . فالهِبة تأتي على قدر الواهِب لا على قدر الموهوب له.

فإذا اصابك مكروه أو حلّ بك ما لا تحب، ولزِمت الصبر ولم تتضجر ولم تتأفف ولم تشتكي فثِق أن وهائب الله ستأتيك، وأنه على قدر لجوئك ستكون وهائب الله لك.

- تأمل في حال زكريا عليه السلام. بلغ من العمر التسعين، انتشر الشيب في شعره، وهَنَ عظمه وجسده، بلغ من العمر عتياً وهو السن الذي تيبس فيه المفاصل والعظام وتجف . بالإضافة إلى عُقم زوجته فهي عاقر لا تلد، كان في قمة العجز في الأسباب. وهو في خضم هذا العجز والعجز يلفه من كل جانب، حقّق العبودية وأظهر لله فقره ومسكنته وذُلّه وحاجته، انطرح بين يدي ربه.

وابن رجب رحِمه الله يقول: (من طرح نفسه بباب ربِ الأرباب لم يحتج إلى زمنٍ طويلٍ في فتح الأبواب).[2]

أظهر لله ضعفه.... يا رب أنا ضعيف أضعف من الريشة التي تتقلّب في الهواء .. أضعف من راكبٍ في سفينة والأمواج تقلّبه، ترفعه وتخفضه، فهو غرقان لا محالة .. يا رب أنا اضعف لك من هذا ومن ذاك.

إذا عرف العبد أن ينطرح بين يدي ربه بهذا الضعف وبهذا الانكسار فإن الأبواب لا شك ستُفتح والوهائب ستنزل.

زكريا عليه السلام انطرح واستوهب ربه وقال ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)**﴾ [آل عمران:٣٨]

---

[1] رواه البخاري (٤٢٠/٦)
[2] نزهة الخاطر العاطر لإبن رجب

يقول بعض أهل التفسير: إذا وجدت إنساناً يقول ربِّ هب لي، فاعلم يقيناً أنه قد وضع أملُه كلُه في الله ولغى الأسباب. لأن الهبة عطاء من الله بدون مقابل، فالله يُعطي بدون أسباب، ويُعطي حتى وإن عزت الأسباب. ومن عَظُم يقينه بربه لم يكِله الله إلى نفسه ولا إلى الأسباب. لم يكِله الله إلا إليه جلّ جلاله. وإذا وكلك الله إليه دبّر أمرك وقضى حاجتك وتولاك وسعِدت سعادةً لا مثيل لها.

اللهم إنا نسألك صِدق التوكل عليك وكمال حُسن الظن بك

- علّمنا الله في كتابه أن نستوهبه. ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَ ةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)**﴾ [آل عمران:٨]

وهذه رحمةٌ شاملةٌ تشمل ست رحمات:

أن يحصل في القلب نور التوحيد والإيمان، وأن يحصل في الأعضاء نور الخدمة والطاعة، وأن يحصل في الدنيا سهولة أسباب المعيشة وصلاح الحال، وأن يحصل عند الموت سهولة السكرات، وأن يحصل في القبر سهولة السؤال، وفي القيامة غُفران السيئات".[1]

- استجاب الله لدعاء موسى عليه السلام فوهبه أخاه هرون نبياً، والنبوة أعلى ما يمكن أن يهبه الله لعبدٍ في الدنيا، فهي لا تُنال بعقل ولا ذكاء ولا اجتهاد وإنما هي هبة الله المحضة.
- استجاب الله لدعاء إبراهيم عليه السلام فوهبه إسحاق ويعقوب نافلة.
- استجاب الله لسليمان عليه السلام فوهبه مُلكاً عجيباً عجيباً يحار العقل في مفرداته وعناصره.

فما بقي لنا نحن إلا أن نوحد ربنا بهذا الاسم العظيم (الوهاب)، وأن نستوهب ربنا كل شيء، ولا نستعظِم ولا نستكثِر في حقه شيء. فالله اكبر وأعظم من كل شيء. والله عزّ وجل لا يحب من عبده التشكُّك والتردد وأن يقول كيف؟ ومن أين؟ ولا يمكن ومستحيل... وكأن خزائن الله قد نفذت وعطاياه قد انتهت وكأن الله ليس عنده ما يُغني به خلقه.

يحبُ اللهُ من عبده أن يوحده وأن يعلم قدرته وأن يعلم سِعة عطائه ومُلكه وكثرة وهائبه وأنه الوهاب سبحانه وبحمده.

---

[1] نقلاً من إحدى الدروس العلمية للدكتور محمد الدبيسي في شرحه لاسم الله الوهاب

قصة قوم سبأ

سنتدارس في هذا المجلس قصة قوم سبأ. فبعد أن ذكر الله حال الشاكرين وعاقبتهم ومثّل لهم بداود وسليمان عليهما السلام، أعقبهم بذكر حال الجاحدين وعاقبتهم في قصة قوم سبأ ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها. وسبأ في الأصل هو رجل اسمه (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان)، نُسبت إليه هذه القبيلة وسُميت به البلاد . وقد جاء في مسند الإمام أحمد أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "**بل هو رجل وُلِد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكِنده والأزد والأشعريون وأنمار وحِميَر، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان**".[1]

بماذا وصف الله بلادهم؟

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)**﴾. [سبأ:١٥]

كان عيشهم رغيداً، وأرضهم خصبة، وأمطارهم غزيرة. عَمِد ملوكهم فبنوا سداً عظيماً مُحكماً هو سد مأرب الشهير، جعلوا له عيوناً تُفتح وتُغلق فيأخذون منه بقدر حاجتهم ويختزنون الباقي لوقت الشدة.

أرضهم تتدفق بالخيرات، حقولٌ خضراء ومروجٌ واسعة وسهولٌ ممتدة وصفها الله بأنها (جنتان) وهذا ما يبعث على تخيل روعتها وكثرة ما فيها من الثمار حتى قيل: أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المِكتل أو الزنبيل، وهو الذي تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قِطاف لكثرته ونضجه واستوائه.

---

[1] مسند الإمام أحمد (٣١٦/١)

وذكر آخرون أنه لم يكن في بلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليوحدوه ويعبدوه.

ومما امتنَّ الله به عليهم أيضاً أن سهّل لهم طرق السفر، وجعل بينهم وبين بلاد الشام التي كانوا يقصدونها طريق ممتدة على جانبيه حدائق وبساتين وقُرى متتابعة وأماكن للاستراحة والقيلولة والمبيت.

قال الحسن: بين اليمن والشام والقُرى التي بورِك فيها : الشام والأردن وفلسطين كانت أربعة آلاف وسبعمائة قرية بورِك فيها بالشجر والثمر والماء وحالهم رغيد ونِعم الله عليهم تترى .[1] وكما قال الله **(بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)**.

ما هو موقف قوم سبأ من هذه النِعم؟

يقول الله تعالى "فأعرضوا"! فأعرضوا عن ماذا؟ أعرضوا عن شكر الله على هذه النِعم، وأعرضوا عن عبادة الله ومعرفة حقه جزاءَ ما أنعمَ به عليهم. لم يصبروا على هذا النعيم وعلى هذا الرغَد بل إنهم قالوا "ربنا باعِد بيننا وبين أسفارنا".

بطروا وطغوا وسئموا الراحة وملّوا النعمة كما ملّها من قبلهم بنو إسرائيل حين قالوا **﴿يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُ خْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَ رْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾**. [البقرة:٦١]

تضجّروا من نعمة الله من المنّ والسلوى الذي كان ينزل عليهم من السماء رزقاً من عند الله بلا تعب ولا كلفة، فطلبوا الثوم والبصل والعدس ونحوه...

هذا الملل الذي حصل عند بني إسرائيل هو نفسه الملل الذي حصل عند قوم سبأ . والملل مسألة خطيرة تدخل على القلوب.

يقول عنه ابن القيم: "من الآفات الخفية أن يكون العبد في نعمةٍ انعم الله بها عليه، واختارها له فيملّها ويطلب الإنتقال منها إلى ما يزعم بجهله أنه خيرٌ له منها، وربه برحمته لا يُخرِجه من

[1] تيسير المنان في قصص القرآن (٤٥٠)

تلك النعمة ويعذره بجهله وسوء اختياره لنفسه، حتى إذا ضاق ذرعاً بتلك النعمة وسخِطها وتبرّم منها واستحكم مللّه لها سلبه الله إياها".[1]

وهذا هو الذي حصل مع قوم سبأ لما تبطّروا على نعمة الله نزعها الله منهم، وسلبها منهم ﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)**﴾ [سبأ:١٦]

أرسل الله عليهم سيلاً شديداً انهال عليهم فأغرق بلادهم وأحاط بجناتهم وأهلك ثمارهم وأشجارهم. هذا السيل ما خلّف وراءه إلا أشجار ثمارها مُره، لا تُستطع م ولا تُستحلى ولا تُؤكل.

(ذواتيْ أُكُلٍ خَمْط): أي: ثمر مُر.

(وأثل): أشجار ذات فروع وعيدان لا ورق فيها ولا ثمر. شجرٌ لا نفع فيه.

(وشيءٍ من سِدرٍ قليل): شجر النبق فهو قِلة لا تُسمن ولا تُغني من جوع. صارت صحراء وفيها أشجار من أشجار الصحراء، وهذا تبديل النِعم بالنِقم، بدّلوا فبدّل الله حالهم.

وقفة:

تفكّر أيها القارئ...

ما كان الله ليُكرِمك بنعمة ثم يسلبك إياها إلا بسببٍ منك أنت

بدّلت فبدّل الله لك...غيّرت فغيّر الله عليك... والله يقول ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾. [الرعد:١١]

قوم سبأ بدّلوا، وحجدوا وتبطّروا على نعمة الله فكانوا كمن رفَع السيف على نفسه أو كمن سقى نفسه سُماً، وهذا هو المخذول والعياذ بالله مصروفٌ لعداوة نفسه، يسعى في شقائها وهلاكها.

ظلموا أنفسهم حين دعوا بتلك الدعوة، فاستجاب الله لدعوتهم، وسلب النعمة منهم، باعد بين أسفارهم فصاروا يسيرون في مفاوز وقِفار، وفقدوا أماكن الظل والراحة، ثم أيضاً مزقهم كل

[1] الفوائد- ص ٢٢٠

مُمزّق، تفتتت قبيلتهم شذر مذر، فبدلهم الله بنعيمهم عذاباً، وبراحتهم مشقة، وبعد اجتماعهم تفرُّقاً وشتاتاً. وفي هذا آية للصابرين والشاكرين، وعِبرة للمُعتبرين وذكرى للعالمين.[1]

- عرفنا من خلال المدارسة لهذه القصة أن عقوبة البطر، (الحرمان). والحرمان له صورتان:

١ -إما أن يُحرم النعمة نفسها وتُنزع منه كما حصل في قوم سبأ . والنعمة إذا نزعها الله من قومٍ قلّما تعود إليهم.

٢ -وإما أن تبقى النعمة في أيدي أصحابها لكنهم يُحرمون بركتها ونفعها.

وربما كثير من البلاءات التي تتنزل على النساء في حياتهم الزوجية يكون هذا هو سببها قلة الشكر، والبطر على نعمة الزوج وجحودها.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام "**لا ينظرُ الله تبارك وتعالى إلى إمراةٍ لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه**".[2]

أيُّ سعادة وأيُّ راحة وسكينة وطمأنينة تبحث عنها الزوجة في بيتها إذا كان الله لا ينظر إليها؟!

ولتستمع الزوجات أيضاً إلى الحديث الآخر الذي اخبر عنه عليه الصلاة والسلام "**رأيت أكثر أهل النار النساء. قالوا: بمَ يا رسول الله؟ قال: بكفرهن. قيل : يكفرن بالله؟ قال : يُكفِّرن العشير ويُكفِّرن الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهنَ الدهر ثم رأت منكَ شيئاً قالت: ما رأيتُ منك خيراً قط**".[3] وهذا والعياذ بالله جحود صريح.

يُذكر أن أحد الخلفاء العباسيين تمنّت زوجته ذات يوم أن تمشي على الطين وهي حافية فأمر أن يُعمل لها خلطة من طين مخصوص .. بأن يُمزج المسك والعنبر والزعفران وشيء من نشارة الخشب لتمشي عليها زوجة الخليفة!

---

[1] تيسير المنّان في قصص القرآن- أحمد فريد ص ٤٤٧

[2] أخرجه النسائي

[3] رواه البخاري ومسلم

أيّ إكرامٍ هذا من زوجٍ لزوجته؟! ولكن تمضي الأيام ويحصل بينها وبين الخليفة ما يحصل بين الأزواج فتقول تلك الكلمة (ما رأيت منك خيراً قط) فردّ عليها: ولا يوم الطين؟![1]

- وهذه وقفةٌ للنساء خاصةً: المسألة تحتاج إلى عدلٍ وإنصافٍ، الله عز وجل خاطبنا بالعدل وأمرنا بالعدل، وهو يحب العدل سبحانه وبحمده.

-﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠]

-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة:٨]

-﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨]

تأمّلن هذا الربط العجيب بين العدل والتقوى، لانه لا يعدل إلا من كان تقياً. المتقي شخص مُلْجَمٌ نفسه، ومُلْجمٌ لسانه، ومُلْجمٌ غضبه. لا يستطيع أن يتكلم بكل ما يريد أو أن يتكلم كما يتكلم أولئك الذين أصبحت ألسنتهم حبلٌ مرخيٌ في يد الشيطان يصرفهم كيفما يشاء فيتكلمون في كل شيء وبكل شيء.

تأمل دعاء النبي ﷺ وهو يسأل ربه "**وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب** ". وهذا عزيزٌ جداً كما يقول ابن رجب "قليلٌ من يوفَّق لهذا العدل، لأنه الغضب يجعل الإنسان يقول غير الحق ويفعل غير العدل وهنا تتفلّت التقوى من أصحابها، فالتقوى أحياناً تكون مريضة وأحياناً تكون غائبة وأحياناً أخرى تموت هذه التقوى في قلوب أصحابها.

ما تراه من الكلام ونشر العورات والسوءات والمثالب والنقائص والذم الذي يحصل بين الزوجين إذا حصل بينهما خلاف ما هو إلا صورة واضحة للتقوى التي فُقِدت وغابت وماتت . لذلك تكرر لفظ التقوى في سورة الطلاق كثيراً حتى يتأكد لدى الجميع بأن الأمر يحتاج إلى تقوى ولن يعدل إلا من كان تقياً.

ونحن حين نوصي أنفسنا والزوجات بالعدل والإنصاف وعدم الجحود، فالمقصود الأساسي أن ننجو من مُساءلة الله لنا في الآخرة وتخِف المظالم والتبعات عنا، فإن أثقل ما يحمله المرء على عاتقه يوم القيامة ذنوبه وخاصة مظالم العباد.

---

[1] نقلاً عن مجلس علمي للمحدث الشيخ أبو إسحاق الحويني حفظه الله ومتعنا بعلمه

فهذا هو الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فلا بد من الاستيفاء للحقوق وهذه المظالم لن تذهب عند الله هباءً منثوراً. وبقدر المظلمة سيأخذ المظلوم من ظالمه. وحتى لا تصيبنا العقوبة التي وردت في الحديثين السابقين.

وأخيراً أُذكر أخواتي حتى يبارك الله لك بالنعم التي بين يديكِ ويزيدها عليكِ ولا يحرم كِ نفعها فلا بد من الشكر، فإن البركات تحل عند الشاكر للنعم لا عند الجاحد لها.

ومما يعينك على الشكر أن تقبلي من أمامك كما هو فالقبول الحسن يورِّث تفاعلاً حسناً . إذا تقبلتِ من أمامك واقتنعتِ أن هذا هو رزقك الذي كتبه الله لك . هذا القبول الذي وقع في القلب حتماً ولا بد سيظهر على لسانك وتصرفاتك وتفكيرك وجميع جوارحك.

اِقبل الناس كما هم، اقبلهم على عِلّاتِهم هذا معنى مُستنبط من أيةٍ في كتاب الله ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)**﴾ [الأعراف:١٩٩].

ولِنعلم جميعاً أننا إن سددنا أبواب الرضا بداخلنا فقد اشترينا الهم بأنفسنا .. فليرضَ الإنسان بما كتب الله له.

من مشاهد القيامة

من أهم المواضيع التي تحدثت عنها سورة سبأ التأكيد على الإيمان باليوم الآخر وذكرت بعض المشاهد فيه كالمواجهات والحوارات الصريحة بين الأتباع والمتبوعين والمستكبرين والمستضعفين يتبادلون فيه اللوم والعِتاب.

قال تعالى ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)**﴾ [سبأ: ٣١-٣٣]

- موقف الفزع الذي يروعهم والهول الذي سيغشاهم في ذلك اليوم ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)**﴾ [سبأ:٥١]. مهما شرّقوا أو غرّبوا فهم من الله قريب . ق ال الألوسي: (فلا فوت) فلا يفوتون الله عز وجل بهربٍ أو نحوه (وأُخذوا من مكانٍ قريب) من الموقف إلى النار. والمُراد بذِكر قُرب المكان سرعة نزول العذاب بهم والاستهانة بهم وبهلاكهم، وإلا فلا قُرب ولا بُعد بالنسبة الله عزّ وجل.[1]
- ﴿**وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)**﴾ [سبأ:٥٢] قالوها بعد إنقضاء الزمان وفوات الأوان وإنطواء الصحف، كيف لهم أن يتناولوا الإيمان في الآخرة وهم قد تركوه في الدنيا فكيف لهم بالرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا، ومنه قول الشاعر:

تمنى أن تؤوبَ إليَّ ميٌّ ... وليس إلى تناوشِها سبيلُ[2]

---

[1] روح المعاني للألوسي- نقلاً عن موسوعة التفسير الموضوعي- سورة سبأ

[2] التفسير الموضوعي- سورة سبأ

• ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤] حِيل بينهم وبين الإيمان، حِيل بينهم وبين ما يشتهون من ملذات الدنيا والأهل والأولاد والعشيرة، حِيل بينهم وبين التوبة، حِيل بينهم وبين ما يشتهونه من الرجوع إلى الدنيا وتوفِها وحرمانهم من نعيم الجنة وملذاتها.

وقفة في رحاب اليوم الآخر:

مَن رحِمهُ الله ذكّرَه بالآخرة، ومن ذكّره بالآخرة ألهمهُ العبادة ومن ألهمهُ العبادة فقد هداه ومن هداهُ فقد أنعمَ عليه.

إذ أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة، وعلى قدر الإيمان به يؤثر هذا على عبادة الإنسان وسلوكه وأخلاقه، يعرف الإنسان كيف يتعامل مع وقته ومع زمانه وليله ونهاره، يجعله ينظر لليالي والأيام على أنها مطيّة للأعمال وأنه لا بد من الوفود على الله. كل العباد سيفِدون على الله وكلُ أحدٍ سيجد ما قدّم بين يديه.

سنتكلم عن هذا اليوم بطريقة علمية مختصرة [1]

سنبدأ من النفخة الأولى نفخة الفزَع والتي تعقبها نفخة الصعق ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)﴾ [الزمر:٦٨]

نفخة الفزع لا يسمعها أحد إلا وأصغى لِيثاً ورفع لِيثاً، والليثُ هو صفحة العنق . يعني لا يسمعها أحد إلا ورفع رأسه وعنقه يستمع لهذا الصوت القادم من السماء.

ثم تقعبها نفخة الصعق وهذه النفخة يموت منها كل من سمِعها . بعد نفخة الصعق تتغير معالم الأرض، تسُف الجبال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا (١٠٧)﴾ [طه:١٠٥-١٠٧]، تُسجر البحار، تنفطِر السماء وتتشقق، تتساقط النجوم وتنكدِر، ثم يطوي ربنا السماء بيمينه وينادي:

أنا الملِك، أنا الملِك، أنا الملِك ثم يقول لِمن المُلك اليوم؟ فلا يجيبه أحد... لِمن المُلك اليوم؟ فلا يجيبه أحد... لِمن المُلك اليوم؟ فلا يُجيبه أحد..... ثم يجيب بنفسه جلّ جلاله ﴿لله الواحد القهّار﴾

[1] أصل هذا المبحث محاضرة لفضيلة عبد الله بن سعد أبا حسين في موقع البث الإسلامي- منازل الآخرة في القرآن والسنة.

• ثم يأمر الله السماء (فتُمطر أربعين)، هكذا جاء في الرواية. فتظل تمطر فتنبُت أجسامنا من جديد. كيف تنبت؟ تنبت مما بقي منها وهو (عَجَبُ الذَنَبْ). تنبت شيئاً فشيئاً كما تنبت النباتات، (كما تنبت البقل وهي النباتات المفترشة على الأرض التي لا ساق لها ولا فروع)، حتى تكتمل الأجساد. إذا تكاملت تبقى أجسادٌ بلا روح.

ثم يُنفخ النفخة الثانية وهي (نفخة البعث). هنا تنطلق الأرواح للأجساد، كل روحٍ تذهب إلى جسدها الذي كانت تسكنه في الدنيا دون أن تُخطئه بأمر الله فتهتز الأجساد بالأرواح من جديد فيقوم الناس ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١)**﴾ [يس:٥١].

• يخرجون من قبورهم مسرعين مضطربين كالفراش المبثوث يموج بعضهم في بعض . يخرجون حُفاةً عُراةً غرلاً (غير مختونين) كما بدأنَا أول خلقٍ نعيده. من شِدّة الهول لا ينظر أحدٌ لعورة أحد. تقول عائشة رضي الله عنها: "يا رسول الله النساء مع الرجال حُفاةٍ؟ قال: يا عائشة الأمر أشدُّ من ذلك". فالأمر مهول ومُفزِع. ثم يبدأ الحشر.

صفة الحشر:

﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ ۟ شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧)**﴾ [القمر:٦-٧]

ينطلقون لأرض المحشر مُهطعين مُسرعين إلى داعيهم كأنهم جرادٌ منتشر، مع كل نفْسٍ سائقٌ وشهيد، ملَك يسوقها إلى أرض المحشر وملَك يشهد عليها بأعمالها.

أرض المحشر أرض تُبسط كما يُبسط الجلد، ليس عليها بناء ولا جبال ولا أشجار ولا إنخفاض ولا إرتفاع، بل هي مستوية تماماً.

المجرمون ينطلقون لأرض المحشر كما قال الله عنهم ﴿**وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)**﴾ [طه:١٠٢] ،من شدة الأهوال تزرقّ عيونهم، ﴿**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ ۟ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)**﴾ [مريم:٨٦]، نسوقهم سوقاً شديداً عِطاشاً مُشاة.

أما المؤمنون أهل الإيمان يُقدمون على ربهم رُكباناً لا يمشون، ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥)**﴾ [مريم:٨٥]. هذه نجائب وركائب تُقرّب لهم أعدها الله لهم.

أرأيتم ملك من ملوك الدنيا إذا جاءه زوَّارُه ماذا يُرسل لهم من المراكب ليستقبلهم ويُكرمهم؟ لا شك أنه سيُرسل لهم أفخم المراكب وأحسنها.

فما ظنكم برب العالمين؟ بالملِك الكريم؟ وسيُقدِم عليه أهل التوحيد، وأهل التقوى وأهل الإخلاص، من تعِبوا في هذه الدنيا وصلّوا وصاموا وجاهدوا في أنفسهم وعاشوا في غربةٍ ومُكابدةٍ ماذا سيُعدُّ لهم من الركائب؟ وكيف سيفِدون على ربهم؟

زمان الحشر:

يُحشر الناس في يومٍ طويل جداً مقداره خمسين ألف سنة . يتفاوت طول هذا اليوم على أهل الإيمان. منهم من يُخفّف عليه فيكون كما بين الظهر والعصر، ومنهم من يطول عليه حتى يقضي الله بين العباد.

كما جاء أن تارِك الزكاة يُعذب بذهبه وفضته فيُحمى عليها في نار جهنم ويُكوى بها حتى يقضي الله بين العباد.

من لم يؤدِ زكاة الإبل، تطأهُ بأخفافها وتعُضّه بأفواهها حتى يقضي الله بين العباد . وكذلك صاحب البقر وصاحب الغنم.. فمرور زمان ذلك اليوم يختلف بإختلاف الإيمان.

ويحصل في يوم الحشر أمور:

١ -تكُسى الخلائق وأولهم إبراهيم عليه السلام.

٢ -تدنو الشمس من الناس بمقدار ميل ويعرق الناس ويتفاوتون في عرَقهِم، هذا عرَقه كثير وهذا قليل والكل يقف بجانب بعضه لكن لكل واحدٍ عرَقٌ يخُصه بحسب ما قدّم، منهم من يبلغ عند كعبيه، ومنهم إلى حقويه الحقو (مِعقد الإزار)، ومنهم من يصل عرقه إلى شحمة أذنه، ومنهم من يُلجِمه العرَق إلجاماً والعياذ بالله. وهناك من يُظِلّهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله. نسأل الله من فضله.

٣ -يؤتى بنار جهنم إلى أرض المحشر وهي عظيمة مرعبة يحطِّم بعضها بعضاً، لها عينان، ولها عنق وتتكلم، لها سبعون ألف زِمام، والزِمام هو ما يُشدّ به رؤوس الإبل مثل الحبل، مع كل زمامٍ سبعون ألف ملَك . إذا جيء بالنار بهذه الصورة المرعبة المفزعة المخيفة ورآها

الناس أمامهم، عندها يحصل الفِرار، يوم يفِر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحِبته وبنيه ، يرى القريبُ قريبَه، والإبنُ أبيه، و الأمُ ابنها، كله يفِر ويهرب ولا يسألُ حميمٌ حميماً، لكل امرئٍ شأن يُغنيه ويقول نفسي نفسي.

٤ -ومما يحصل أيضاً بتنَزّل الملائكة ﴿**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلا (٢٥)**﴾ [الفرقان:٢٥]. تتنزل الملائكة وتُحيط بالخلائق، ثم يُنزّل عرش الجبار الملِك جل جلاله ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)**﴾ [الحاقة:١٧-١٨].

يتجلى ربنا جلّ وعلا للخلائق في أرض المحشر ، والتجلّي هو الظهور والإنكشاف. وبعد هذا التجلي تُشرق الأرض بنور ربها . يُصعق جميع أهل الموقف من هذا التجلّي ويُغشى عليهم ثم يستفيقون مرة أخرى. فإذا أفاق أهل الموقف يؤتى بكتاب الأعمال ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩)**﴾ [الزمر:٦٩].

٥ -يبدأ الحساب وهو نوعان:

أ/ الحساب اليسير (العرض) وهو أن يُقرِّر الله العبد بذنوبه. يُدني الله عبده المؤمن فيقول: عبدي فعلت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، عبدي أتعرف ذنب كذا؟ والعبد يعترف ويقرّ نعم يا رب، نعم يا رب، ثم يقول له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. ثم يُعطى كتابه بيمينه، فينطلق إلى أرض المحشر سعيداً مسروراً ينادي فيهم ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلا قٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَ يَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)**﴾ [الحاقة:١٩-٢٤].

ب/ الحساب العسير والعياذ بالله . ومناقشةٌ وجِدال وسؤال ومقاصّة، ومن نوقِش الحساب فقد عُذِّب. يختم الله على أفواه الكفار وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون، ﴿**حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَ انُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)**﴾ [فصلت :٢٠-٢١]، ثم يُعطى كتابه بشماله، فيقول ﴿**وَأَمَّا مَنْ**

أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)﴾ [الحاقة:٢٥-٢٩].

٦- وبعد هذا العرض تُنصب الموازين ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء :٤٧]. ويوزن العمل والعامل وصحيفة العمل وأشدّ ما يثقل به الميزان هو التوحيد، يؤتَى برجلٍ عليه تسعٌ وتسعونَ سجِلاً من الخطايا والذنوب وكل سجِل مد البصر، ثم يُقال له أتُنكر شيء من هذه الذنوب؟ فيقول: لا يا رب. فيُقال له: أظلمك كتبتي؟ فيقول: لا يا رب. ثم يُقال له : ألك حسنة؟ فيقول: لا يا رب. فتُخرج له بطاقة فيقول: وما تفعل بطاقة أمام كل هذه السجلات. فيُقال لا ظُلم اليوم. هذه البطاقة مكتوب عليها (لا اله إلا الله)، كان معه كلمة التوحيد. أتى بالتوحيد، فرجح بالتوحيد، وثقُل بالتوحيد، ونجا بالتوحيد.

بعد الوزن يعرف كل إنسان مصيره، وينقسم الناس إلى طوائف وأزواج وتُقام الألوية : لواء محمد ﷺ / لواء إبراهيم عليه السلام/ لواء موسى عليه السلام.... وهكذا. ثم يُجمع الناس مع أزواجهم، الظلمة مع الظلمة، الكفرة مع الكفرة، الزُناة مع الزُناة، أهل الخمر مع أهل الخمر . ﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)**﴾ [التكوير:٧].

ثم يضرب الله عز وجلّ الظُلمة على أهل الموقف وهي ظُلمة شديدة عظيمة تكون قبل الصراط، فيقول الله عز وجل فلتتبع كل أمّةٍ معبودها . فتبدأ الأمم الكافرة تتهاوى في النار . ﴿**فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨)**﴾ [هود:٩٨].

٧- في هذا الموقف يُعرف المؤمنون والمنافقون. عن ابن عباس رضي الله عنه قال : "بينما الناس في ظُلمة إذ بعث الله نوراً فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، اتبَّعوهم فأظلم الله على المنافقين، ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)**﴾ [الحديد:١٣]. فيبدأ توزيع الأنوار وتقسيمها حتى يمروا على الصراط ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ [الحديد:١٢]، وهذا النور على قدر الأعمال. منهم من يُعطى نوره مثل الجبل بيد

يديه، ومنهم فوق ذلك، ومنهم من يكون نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من هو دون ذلك، حتى يكون آخر من يُعطى نوره على قدر إبهام قدمه يضيء مرة ويُطفأ مرة، فإذا أضاء قدُم قدمه وإذا أُطفئ قام. والعجيب في هذا النور أنه لا يمكن لأحد أن يشارك غيره في نوره حتى لو كان واقفاً بجانبه لأنه نور خاص بصاحبه يكون على قدر عمله، ولا يظلِم ربُّك أحداً.

٨- يُنصب الصراط ويبدأ المرور عليه، والشعار عليه (اللهم سلِّم، اللهم سلِّم). وصِفة الصراط أحدّ من السيف وأدقّ من الشعر، عليه كلاليب مثل شوك السعدان تأخذ من أمِرت بأخذه . وتختلف سرعة السير على الصراط بقدر الأعمال . منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم من يمشي، ومن يزحف، ومن يُخدش وتعلق يده وتعلق رجله، ومنهم من تخطفه الكلاليب فتُلقي به في نار جهنم. ومن أسرع هنا أسرع هناك، ومن أبطأ هنا أبطأ هناك.

يقول ابن كثير رحمه الله: "من سابقَ في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة. فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تُدين تُدان".

٩ -تأتي القنطرة، والذي يعبر الصراط يُعتبو ناجياً من النار تماماً فلن يدخلها. والقنطرة مثل الجسر الذي يكون على ماء أو نهر، يُحبس فيها المؤمنون لاقتصاص مظالم خاصة بين أهل الجنة وهذا غير القصاص الأول، لأن الإنسان وإن اقتُصّ له ممن اعتدى عليه يبقى في قلبه شيء من الغِل والحقد، فيُحبس أهل الجنة في هذه القنطرة من أجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في القلوب، أي أن هذه القنطرة هي للتنقية والتصفية والتطهير (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين). لن يدخل الجنة إلا من كان طيباً مُطهَّراً صافياً نقياً.

١٠ -ثم تُقرّب الجنة إلى داخليها واُزلفِت الجنة للمتقين، وينطلق نبينا صلى الله عليه وسلم ويطرق الباب فيقول خازن الجنة: من؟ فيقول: محمد. فيقول الخازن: نعم، لك أمِرت أن

أفتح. فيدخل ويدخل الأنبياء من بعده، ثم تدخل أمته وهي أول من يدخل الجنة إكراماً له عليه الصلاة والسلام.

يدخلون فإذا أبواب الجنة مفتوحة مُشرعة تنتظرهم فلا تُغلق أبداً، فالكريم لا يُغلق أبواب بيته. ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)**﴾ [الزمر:٧٣]. يجدون ريحها ورَوحها وريحانها مسيرة سبعمائة عام.

صِفة دخولهم أنهم يدخلون مُمسكين بأيدي بعضهم بعضاً بجانب بعضهم، صفاً واحداً وجوههم كالبدر من جمالها وبريقها ولمعانها. قال صلى الله عليه وسلم: "ليدخُلنّ الجنة من أُمتي سبعونَ ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدخلُ أولهم حتى يدخلُ آخِرهم وجوههم كالبدر".

وحق لهم، فلَول من يطأ الجنة هم، وأول من يشم رائحتها هم، أول من يراها هم، الذين باعوا أنفسهم لله واشتراها الله منهم وجاء وقت قبض الثمن، والثمن هو الجنة . ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة:١١١].

جعلني الله وإياكم من أهل الجنة ومن أول زمرة تدخل الجنة

اللهم إنا نسألك رِضاك والجنة ونعوذ بك سخطِك من النار

والحمد لله رب العالمين

انتهت كتابته يوم السبت

غرّة محرم ١٤٣٣ ه ـ

أم عبد الرحمن